

يُورِثُ وَنَاقَهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَيُّ بِهِذَا الْقُرْآنِ الَّذِي  
صَدَقُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿٣﴾ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٤﴾ أَيُّ  
مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ جَمِيلَةً ﴿٥﴾ مَكْرِيَاتٍ فِيهِ ﴿٦﴾ فِي ثَوَابِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ،  
وَهُوَ الْحِجَّةُ خَالِدِينَ فِيهِ ﴿٧﴾ أَبَدًا ﴿٨﴾ دَائِمًا لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا  
انْقِضَاءً.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قَالَ ابْنُ  
إِسْحَاقَ: وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: نَحْنُ  
نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿٦﴾. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَيُّ  
بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي افْتَرَوْهُ وَاتَّفَكَوْهُ ﴿٧﴾ وَلَا لِأَبَائِهِمْ ﴿٨﴾ أَيُّ  
لِأَسْلَافِهِمْ ﴿٩﴾ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ هَذَا تَشْيِيعٌ لِمَقَالَتِهِمْ  
وَاسْتِعْظَامٌ لِأَفْكَهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ  
أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ سِوَى قَوْلِهِمْ، وَلَا دَلِيلٌ لَهُمْ  
عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَافْتِرَاؤُهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا  
كَذِبًا﴾.

### سَبَبُ نَزُولِ السُّورَةِ

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ  
الْكُرَيْمِيَّةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَدِيمٍ عَلَيْنَا مِنْذُ  
بَضْعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَتْ  
قُرَيْشُ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَجْبَارِ  
يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُّوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفُوا  
لَهُمْ صِفَتَهُ وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ،  
وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا  
الْمَدِينَةَ فَسَأَلُوا أَجْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَفُوا  
لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالَا: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَقَدْ  
جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا، قَالَ: فَقَالُوا لَهُمْ:  
سَلُّوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمُ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيُّ  
مُرْسَلٍ، وَإِلَّا فَرَجُلٌ مُتَمَوِّلٌ [فَرُوا] فِيهِ رَأْيِكُمْ: سَلُّوهُ عَنْ  
فِتْنِيَّةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَإِنَّهُمْ قَدْ  
كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ. وَسَلُّوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ  
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا مَا كَانَ نَبُوهُ؟ وَسَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ  
مَا هُوَ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمُ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيُّ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ لَمْ  
يُخْبِرْكُمُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَمَوِّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ،

(١) فتح الباري: ٧١٩/٦ ومسلم: ٥٤٨/١ (٢) أحمد: ٥/١٩٦  
(٣) مسلم: ٥٥٥/١ وأبو داود: ٤٩٧/٤ والنسائي في  
الكبرى: ٢٣٦/٦ وتحفة الأحمدي: ١٩٥/٨ (٤) الحاكم: ٢/٣٦٨  
(٥) البيهقي: ٢٤٩/٣ (٦) الطبري: ٥٩٥/١٧

الصَّحِيحِينَ ﴿١﴾. وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَتْلُوهَا هُوَ أُسَيْدُ بْنُ  
الْحَضِيرِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. وَرَوَى الْإِمَامُ  
أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ  
عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكُهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» ﴿٢﴾  
رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَلَفِظُ  
التِّرْمِذِيِّ: «مَنْ حَفِظَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكُهْفِ» وَقَالَ:  
حَسَنٌ صَحِيحٌ ﴿٣﴾.

وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قرَأَ سُورَةَ الْكُهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ،  
أَصَاءَ لَهُ مِنَ الثَّوْرِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ» ثُمَّ قَالَ: هَذَا  
حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرَجْهُ ﴿٤﴾. وَهَكَذَا رَوَاهُ  
الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنِ الْحَاكِمِ، ثُمَّ رَوَى  
الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قرَأَ سُورَةَ الْكُهْفِ  
كَمَا نَزَلَتْ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ﴿٥﴾.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَتَجِدَنَّ يَوْمَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾  
قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْرِيَاتٍ فِيهِ  
أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ  
مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ  
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

### أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ تَعَالَى يَحْمَدُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ  
عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَخَوَاتِمِهَا، فَإِنَّهُ الْمُحْمَدُ عَلَى كُلِّ  
حَالٍ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ  
عَلَى أَنْزَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ: فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ  
الْأَرْضِ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، حَيْثُ  
جَعَلَهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ، بَلْ يَهْدِي إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَضْحًا بَيِّنًا، جَلِيًّا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ، بَشِيرًا  
لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أَيُّ لَمْ يَجْعَلْ  
فِيهِ اعْوَجَاجًا وَلَا زَيْغًا وَلَا مِيلًا، بَلْ جَعَلَهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا  
وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قِيمًا﴾ أَيُّ مُسْتَقِيمًا ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ  
لَدُنْهُ﴾ أَيُّ لِمَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ: يُنذِرُهُ بَأْسًا  
شَدِيدًا، عَثُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا وَأَجَلَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿وَمِنَ  
لَدُنْهُ﴾ أَيُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدًا، وَلَا

أَبُو مَسْلَمَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ حَضْرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَظِرٌ مَادَا تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنِي وَإِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ»<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِزَوَالِهَا وَفَنَائِهَا، وَفَرَاغِهَا، وَانْقِضَائِهَا، وَذَهَابِهَا وَخَرَابِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: «وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا»<sup>(٥)</sup>. أَي: وَإِنَّا لَمُصَيِّرُوهَا بَعْدَ الزَّيْنَةِ إِلَى الْخَرَابِ وَالذَّمَارِ، فَتَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهَا هَالِكًا صَعِيدًا جُرُزًا لَا يَبْنُتُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ.

كَمَا قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» يَقُولُ: يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَيَبِيدُ<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: صَعِيدًا جُرُزًا بَلْقَعًا<sup>(٦)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: الصَّعِيدُ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَجَرٌ وَلَا نَبَاتٌ<sup>(٧)</sup>.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا﴾<sup>(٩)</sup> إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الْأَدْنَانَ فِي أَلْفَيْ سَنَةٍ عَدْدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئْسَ أُمَّةً ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿١٣﴾

### [قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ]

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَالِإِحْتِصَارِ، ثُمَّ بَسَطَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يَعْنِي يَا مُحَمَّدٌ «أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» أَي لَيْسَ أَمْرُهُمْ عَجِيبًا فِي قُدْرَتِنَا وَسُلْطَانِنَا، فَإِنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَسْخِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ - عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ - أَعْجَبٌ مِنْ إِخْبَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، كَمَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيعِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ يَقُولُ: قَدْ كَانَ مِنْ آيَاتِنَا مَا هُوَ أَعْجَبٌ مِنْ ذَلِكَ<sup>(٨)</sup>. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ

فَأَقْبَلَ النَّصْرَ وَعُقْبَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى قُرَيْشٍ فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَضْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ... فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا، فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا، فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرْكُمْ غَدًا عَمَّا سَأَلْتُمْ عَنْهُ» وَلَمْ يَسْتَنْ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يَحْدُثُ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهَا، لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ عَمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبَّرَ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوْفِ، وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ... الْآيَةَ<sup>(١١)</sup>».

﴿فَلَمَّا بَدَعَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا﴾<sup>(١)</sup> إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

### [لَا تَأْسَفْ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِ الْمُشْرِكِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِرَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي حُزْنِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِتَرْكِهِمُ الْإِيْمَانَ وَبُعْدِهِمْ عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتًا﴾ [فاطر: ٨] وَقَالَ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧] وَقَالَ: ﴿لَمَّا بَدَعَ نَفْسَكَ الْأَى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] بَاخِعٌ أَي: مُهْلِكٌ نَفْسَكَ بِحُزْنِكَ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا بَدَعَ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ «آسَفًا» يَقُولُ: لَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ آسَفًا. قَالَ قَتَادَةُ: قَاتِلٌ نَفْسِكَ غَضَبًا وَحُزْنًا عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: جَزَعًا<sup>(٣)</sup>. وَالْمَعْنَى مُتْقَارِبٌ، أَي لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، فَمَنْ اهْتَدَى فَلْيَنْسِئِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، [فَلَا] تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ.

### [الدُّنْيَا دَارُ الْإِبْتِلَاءِ]

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارًا فَإِنَّهُ مَزِيئَةٌ بَرِيئَةٌ زَائِلَةٌ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا دَارَ اخْتِبَارٍ لَا دَارَ قَرَارٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قَالَ

(١) وفي الأصل وقع: قال: الروح بدل قوله: قل. الطبري: ١٧/٥٩٢ إسناده ضعيف لجهالة شيخ من أهل مصر (٢) الطبري: ١٧/٥٩٧، ٥٩٨ (٣) الطبري: ١٧/٥٩٨ (٤) أحمد: ٣/٢٢ (٥) الطبري: ١٧/٥٩٩ (٦) الطبري: ١٧/٥٩٩ (٧) الطبري: ١٧/٦٠٠ (٨) الطبري: ١٧/٦٠١

الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَاثُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٣﴾ يَقُولُ: الَّذِي آتَيْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ أَفْضَلُ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ (١). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا أَظْهَرَتْ مِنْ حُجَجِي عَلَى الْعِبَادِ أَعْجَبُ مِنْ شَأْنِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ (٢). وَأَمَّا الْكُهْفُ فَهُوَ الْغَارُ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ الْمَذْكُورُونَ، وَأَمَّا الرَّقِيمُ فَقَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ وَادٍ قَرِيبٌ مِنْ آيَلَةٍ (٣). وَكَذَا قَالَ عَطِيَّةُ الْعُوفِيُّ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَمَّا الْكُهْفُ فَهُوَ غَارٌ فِي الْوَادِي (٤). وَالرَّقِيمُ اسْمُ الْوَادِي. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الرَّقِيمُ كَانَ بَيْنَهُمْ. وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ كَهْنُهُمْ (٥).

### [إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَاعْتِزَالُهُمُ الْقَوْمِ]

مِنْ هَهْنَا شَرَعَ فِي بَسْطِ الْفِصَّةِ وَشَرَحَهَا، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمْ الشَّبَابُ، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ قَدَّ عَتَوْا وَانْعَمَسُوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ شَبَابًا، وَأَمَّا الْمَشَائِخُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَعَامَّتُهُمْ بَقَوْا عَلَى دِينِهِمْ وَلَمْ يُسَلِّمُوا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَهَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكُهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بَلَغِي أَنَّهُ كَانَ فِي آذَانِ بَعْضِهِمُ الْفِرْطَةُ يَعْنِي الْحَلَقُ. فَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ رُشْدَهُمْ وَأَتَاهُمْ نِقْوَاهُمْ، فَأَمَّنُوا بِرَبِّهِمْ أَيِ اعْتَرَفُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَشَهِدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿وَرَزَدْنَهُمْ هُدًى﴾.

اسْتَدَلَّ بِهِدَى الْآيَةِ وَأَمَّنَالَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَيَّةِ كَالْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ (٩). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَزَدْنَهُمْ هُدًى﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَاوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ نِقْوَتَهُمْ﴾ [محمد]:

[١٧] وَقَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادْتَهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَسِيرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وَقَالَ: ﴿لِيُرَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ لَمَا اعْتَنَى أَحْبَارُ الْيَهُودِ بِحِفْظِ خَبْرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ لِإِمْبَائِيَّتِهِمْ لَهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَطْبُورُونَ مِنْهُمْ أَشْيَاءَ، يَمْتَحِنُونَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَثُوا إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ خَبْرِ هَؤُلَاءِ، وَعَنْ خَبْرِ ذِي الْقُرْنَيْنِ، وَعَنْ

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: كَانَ يَزْعُمُ كَعْبٌ أَنَّهَا الْقَرْيَةُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الرَّقِيمُ الْجَبَلُ الَّذِي فِيهِ الْكُهْفُ (٦). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الرَّقِيمُ لَوْحٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَتَبُوا فِيهِ قِصَصَ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، ثُمَّ وَضَعُوهُ عَلَى بَابِ الْكُهْفِ (٧). وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكُهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَايْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أُولَئِكَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ فَرَّوْا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لِئَلَّا يَفْتِنُوهُمْ عَنْهُ، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ، فَلَجَأُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَحْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ بِهِمْ: ﴿رَبَّنَا ءَايْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ أَيِ هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرَحُّمًا بِهَا وَتَسْتُرْنَا عَنْ قَوْمِنَا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أَيِ وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا أَيِ: اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَا فَضِيَّتْ لَنَا مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا» (٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ أَيِ أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ التَّوَمَّ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكُهْفِ فَتَأَمَّنُوا سِنِينَ كَثِيرَةً، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيِ مِنْ رُقْدَتِهِمْ تِلْكَ، وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدِرَاهِمٍ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ أَيِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِمْ ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ قِيلَ: عَدَدًا، وَقِيلَ: غَايَةً، فَإِنَّ الْأَمَدَ الْغَايَةَ، كَقَوْلِهِ:

سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَمَدِ  
تَحَنُّنُ نَفْسٍ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ  
وَرَزَدْنَهُمْ هُدًى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ رَبِّ

(١) الطبري: ٦٠١/١٧ (٢) الطبري: ٦٠١/١٧ (٣) الطبري: ٦٠٢/١٧ العوفي وعائلته الضعفاء (٤) الطبري: ٦٠٢/١٧ (٥) الطبري: ٦٠٢/١٧ (٦) ابن جريج مدلس لم يسمع من ابن عباس والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف كان يلقن شيخه حجاج بن محمد (تقريب) (٧) الطبري: ١٧/٦٠٣ (٨) أحمد: ١٤٧/٦ (٩) فتح الباري: ٦٠/١

الرُّوحَ، فَذَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْضُوطٌ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: وَصَبَرْنَا هُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ، وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الرُّومِ وَسَادَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمًا فِي بَعْضِ أَعْيَادِ قَوْمِهِمْ، وَكَانَ لَهُمْ مُجْتَمَعٌ فِي السَّنَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالطَّوَاغِيتَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ يُقَالُ لَهُ: دَقْيَانُوسُ . وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَيَحْتُمُّ عَلَيْهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِمُجْتَمَعِهِمْ ذَلِكَ، وَخَرَجَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ مَعَ آبَائِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ قَوْمُهُمْ بَعِينٍ بِصِيرَتِهِمْ، عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي يَصْنَعُهُ قَوْمُهُمْ مِنَ السُّجُودِ لِأَصْنَامِهِمْ وَالذَّبْحِ لَهَا، لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ، وَيَتَحَارَّ مِنْهُمْ، وَيَتَبَرَّرُ عَنْهُمْ نَاجِيَةً، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ وَحْدَهُ أَحَدُهُمْ، جَلَسَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَجَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهَا عِنْدَهُ، وَجَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، وَجَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، وَجَاءَ الْآخَرُ، وَجَاءَ الْآخَرُ، وَلَا يَعْرِفُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ الْآخَرَ، وَإِنَّمَا جَمَعَهُمْ هُنَاكَ الَّذِي جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ .

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ»<sup>(١)</sup> . وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سُهِيلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup> . وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: الْجَنَسِيَّةُ عَلَةُ الضَّمِّ . وَالْعَرَضُ أَنَّهُ جَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْتُمُ مَا هُوَ عَلَيْهِ عَنْ أَصْحَابِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُمْ مِثْلُهُ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ: تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ يَا قَوْمِ إِنَّهُ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ وَأَفْرَدَكُمْ عَنْهُمْ إِلَّا شَيْءٌ، فَلْيُظْهِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا بِأَمْرِهِ، فَقَالَ آخَرُ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي وَاللَّهُ رَأَيْتُ مَا قَوْمِي عَلَيْهِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ: السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ

الْآخَرُ: وَأَنَا وَاللَّهُ وَقَعَ لِي كَذَلِكَ، وَقَالَ الْآخَرُ كَذَلِكَ، حَتَّى تَوَافَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَصَارُوا يَدًا وَاحِدَةً، وَإِخْوَانَ صِدْقٍ، فَاتَّخَذُوا لَهُمْ مَعْبَدًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، فَعَرَفَ بِهِمْ قَوْمُهُمْ فَوَشَوْا بِأَمْرِهِمْ إِلَى مَلِكِهِمْ فَاسْتَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ بِالْحَقِّ وَدَعَوْهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهَا إِلَهًا﴾ وَلَنْ لِنُفِي التَّائِيدِ أَيْ لَا يَتَّعُ مِنَّا هَذَا أَبَدًا، لِأَنَّ لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا، وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ: ﴿لَقَدْ فَعَلْنَا إِذَا سَطَطْنَا﴾ أَيْ بَاطِلًا وَبُهْتَانًا ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أَيْ هَلَّا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ذَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يَقُولُونَ: بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَازِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: إِنَّ مَلِكَهُمْ لَمَّا دَعَوْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَبِي عَلَيْهِمْ وَتَهَدَّاهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ، وَأَمَرَ بِتَرْجِئِ لِبَاسِهِمْ عَنْهُمْ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ قَوْمِهِمْ، وَأَجْلَلَهُمْ لِيُنْظَرُوا فِي أَمْرِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ، فَاتَّهَمُوا فِي تِلْكَ النَّظَرَةِ تَوَصَّلُوا إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ وَالْفِرَارِ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ عِنْدَ وُفُوعِ الْفِتْنِ فِي النَّاسِ أَنْ يَغِيْرَ الْعَبْدُ مِنْهُمْ خَوْفًا عَلَى دِينِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالٍ أَحَدِكُمْ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَغِيْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتْنِ»<sup>(٣)</sup> . فَبَقِيَ هَذِهِ الْحَالِ تُشْرَعُ الْعَزْلَةُ عَنِ النَّاسِ وَلَا تُشْرَعُ فِيمَا عَدَاهَا، لِمَا يَبُوتُ بِهَا مِنْ تَرْكِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، فَلَمَّا وَقَعَ عَزْمُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ وَالْهَرَبِ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أَيْ: وَإِذْ فَارَقْتُمُوهُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ بِأَذْيَانِكُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ، فَفَارَقُوهُمْ أَيْضًا بِأَذْيَانِكُمْ، ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَسْئُرَ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أَيْ يَسْطُرْ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرْكُمْ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ ﴿مِرْفَقًا﴾ أَيْ أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هُرَابًا إِلَى الْكَهْفِ فَأَوُوا إِلَيْهِ، فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ

(١) فتح الباري: ٤٢٦/٦ (٢) مسلم: ٢٠٣١/٤ (٣) فتح

سُورَةُ الْكَهْفِ

٢٩٥

الْمِيقَاتُ

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِكَ إِذْ جَاءُواكَ بِالْآيَاتِ الْمُبِينِ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِي سَاقِطِينَ يُخْسِرُونَ ﴿١٦﴾ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذْ غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا كُفُورًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَنَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِاطِعٌ عَلَيْهِمْ لَوَلِيَّتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، وَأَرَادَ مِنَّا فَهْمَهُ وَتَدَبُّرَهُ، وَلَمْ يُخَيِّرْنَا بِمَكَانِ هَذَا الْكَهْفِ فِي أَيِّ الْبِلَادِ مِنَ الْأَرْضِ، إِذْ لَا فَائِدَةَ لَنَا فِيهِ وَلَا قَصْدَ شَرْعِيٍّ، وَلَوْ كَانَ لَنَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ لَأَرْشَدْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُرَبِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ بِهِ» (٤). فَأَعْلَمْنَا تَعَالَى بِصِفَتِهِ، وَلَمْ يُعَلِّمْنَا بِمَكَانِهِ، فَقَالَ: «وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ» قَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: تَبِيلٌ «ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ» أَيُّ فِي مَسْعٍ مِنْهُ دَاخِلًا بِحَيْثُ لَا تُصَيِّبُهُمْ، إِذْ لَوْ أَصَابَتْهُمْ لَأَحْرَقَتْ أَبْدَانَهُمْ وَتَيَابَهُمْ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ (٥). «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» حَيْثُ أَرَشَدَهُمْ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْعَارِ الَّذِي جَعَلَهُمْ فِيهِ أَحْيَاءَ، وَالشَّمْسُ وَالرِّيْحُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ لِتَبْقَى أَبْدَانُهُمْ،

(١) فتح الباري: ١١/٧ (٢) الطبري: ١٧/٦٢٠ (٣) الطبري: ١٧/٦٢٢، ١١/٦٢١ (٤) عبد الرزاق: ١١/١٢٥ (٥) الطبري: ١٧/٦٢٠

بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَتَطَلَّبُهُمُ الْمَلِكُ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَطْمُرْ بِهِمْ، وَعَمَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصَاحِبِهِ الصَّدِيقِ حِينَ لَجَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الطَّلَبِ فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُمْ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ رَأَى جَزَعَ الصَّدِيقِ فِي قَوْلِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَئِينَ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟» (١). وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: «إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا قَالَتْ إِنَّهُ سَكَتَنَاهُ عَلَيْهِ وَابْتَدَأُ بِحُجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٤٠] فَفِيصَةُ هَذَا الْعَارِ أَشْرَفٌ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمٌ وَأَعْجَبٌ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

﴿وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِيَ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾  
**وَلِيَا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾**  
**[مَوْضِعُ الْكَهْفِ]**

وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ هَذَا الْكَهْفِ كَانَ مِنْ نَحْوِ الشِّمَالِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ السَّمْسَ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ طُلُوعِهَا تَزْوُرُ عَنْهُ «ذَاتَ الْيَمِينِ» أَيَّ يَتَقَلَّصُ الْفَيْءُ يَمِينَهُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَقَتَادَةُ: «تَزْوُرُ» أَيُّ تَبِيلٌ (٢). وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأَفْقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ» أَيُّ تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ، وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا، وَهَذَا بَيْنَ يَمِينٍ وَتَأَمَّلْهُ وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِمَعْرِفَةِ الْهَيْئَةِ وَسَبْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ. وَبَيَانُهُ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَابُ الْعَارِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ لَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَ الْغُرُوبِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ لَمَا دَخَلَ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَ الطُّلُوعِ وَلَا عِنْدَ الْغُرُوبِ، وَلَا تَزَاوَرَ الْفَيْءُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَلَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْغُرُبِ لَمَا دَخَلَتْهُ وَقَتَ الطُّلُوعِ بَلْ بَعْدَ الزَّوَالِ، وَلَمْ تَزَلْ فِيهِ إِلَى الْغُرُوبِ، فَتَعَيَّنَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: تَقْرَضُهُمْ تَتْرَكُهُمْ (٣).

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾... الآية، أَيْ هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ هُؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ إِلَى الْهِدَايَةِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَقُلُوبُهُمْ ذَاتَ اللَّيْمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (١٨)

﴿رُفُودُهُمْ فِي الْكَهْفِ﴾

ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آدَانِهِمْ بِالنُّوْمِ، لَمْ تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ لِئَلَّا يُسْرَعَ إِلَيْهَا الْبِلَى، فَإِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةٌ لِلنُّوْمِ كَانَ أَنْبَى لَهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ يَنَامُ فَيُطْبِقُ عَيْنًا وَيَبْتَحُ عَيْنًا، ثُمَّ يَفْتَحُ هَذِهِ وَيُطْبِقُ هَذِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ.

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ ذَاتَ اللَّيْمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ لَمْ يَقْبَلُوا لِأَكَلَتَهُمُ الْأَرْضُ<sup>(١)</sup>. قَوْلُهُ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَقَتَادَةُ: الْوَصِيدُ: الْفِنَاءُ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِالْبَابِ<sup>(٣)</sup>. وَقِيلَ: بِالصَّعِيدِ وَهُوَ التَّرَابُ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بِالْفِنَاءِ وَهُوَ الْبَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَسَدَةٌ﴾ أَيْ مُطَبَّقَةٌ مُغْلَقَةٌ، وَيُقَالُ: وَصِيدٌ وَأَصِيدٌ. رَبَضَ كَلْبُهُمْ عَلَى الْبَابِ كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكِلَابِ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابُ<sup>(٤)</sup>. وَهَذَا مِنْ سَجِيئَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ حَيْثُ يَرِبُضُ بِبَابِهِمْ، كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ، وَكَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ - كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ - وَلَا صُورَةٌ وَلَا جُنْبٌ وَلَا كَافِرٌ. كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْحَسَنُ. وَسَمَلَتْ كَلْبُهُمْ بَرَكْتُهُمْ فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَهَذَا فَائِدَةٌ صَحِيحَةٌ الْأَحْيَارِ، فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَخَبْرٌ وَشَأْنٌ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ كَلْبٌ صَيْدٌ لِأَحَدِهِمْ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَقِيلَ: كَلْبٌ طَبَاخُ الْمَلِكِ، وَقَدْ كَانَ وَاقِفُهُمْ عَلَى الدِّينِ [فَصَحْبُهُ] كَلْبُهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أَيْ إِنَّهُ تَعَالَى أَلْتَمَى عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةَ بَحَيْثُ لَا يَبْقَعُ نَظْرُ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ، لِمَا أَلْسُوا مِنْ الْمَهَابَةِ وَالذُّعْرِ، لِئَلَّا يَذْتُو مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَا تَمَسُّهُمْ يَدُ لَامِسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَتَنْقُضِي رَفْدَتُهُمْ الَّتِي

(١) الطبري: ١٧/٦٢٠ (٢) الطبري: ١٧/٦٢٥، ٦٢٥ (٣)

الطبري: ١٧/٦٢٥ (٤) الطبري: ١٧/٦٢٥

يَطْلِعُوا عَلَى مَكَانِهِمْ، فَلَا يُرَالُونَ يِعْدُبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِلَى أَنْ يُعِيدُوهُمْ فِي مَلْتِهِمْ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا، أَوْ يَمُوتُوا. وَإِنْ وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى الْعُودِ فِي الدِّينِ، فَلَا فَلَاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بَنِيانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ

مَسْجِدًا ﴿٢١﴾

[عُثُورُ أَهْلِ الْبَلَدِ عَلَيْهِمْ وَبِنَاؤُهُمْ تَذَكَّرًا عَلَى الْكَهْفِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أَيِ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ النَّاسَ ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَصَلَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ شَكٌّ فِي الْبُعْثِ وَفِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: كَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ قَدْ قَالُوا: تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ، فَبَعَثَ اللَّهُ أَهْلَ الْكَهْفِ حُجَّةً وَدَلَالَةً وَآيَةً عَلَىٰ ذَلِكَ <sup>(١)</sup>. وَذَكَرُوا: أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ لِيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي شَرَاءِ شَيْءٍ لَهُمْ لِيَأْكُلُوهُ، تَنَكَّرَ وَخَرَجَ يَمْشِي فِي غَيْرِ الْجَادَةِ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَذَكَرُوا أَنَّ اسْمَهَا دُفُسُوسٌ، وَهُوَ يَطْنُ أَنَّهُ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِهَا، وَكَانَ النَّاسُ قَدْ تَبَدَّلُوا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَأُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ، وَتَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا، فَجَعَلَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِ الْبَلَدِ الَّتِي يَعْرِفُهَا، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا: لَا خَوَاصِّهَا وَلَا عَوَامِّهَا، فَجَعَلَ يَتَحَيَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ: لَعَلَّ بِي جُنُونًا أَوْ مَسًّا أَوْ أَنَا حَالِمٌ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا بِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ عَهْدِي بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ عَشِيَّةَ أَمْسٍ عَلَىٰ غَيْرِ هَذِهِ الصَّفَةِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ تَعْجِيلَ الْخُرُوجِ مِنْ هَهُنَا لِأَوْلَىٰ لِي، ثُمَّ عَدَدْتُ إِلَىٰ رَجُلٍ مِمَّنْ يَبِيعُ الطَّعَامَ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَا مَعَهُ مِنَ الثَّنْفِقَةِ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَبِيعَهُ بِهَا طَعَامًا، فَلَمَّا رَأَاهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْكَرَهَا وَأَنْكَرَ ضَرْبَهَا، فَدَفَعَهَا إِلَىٰ جَارِهِ، وَجَعَلُوا يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَقُولُونَ: لَعَلَّ هَذَا وَجَدَ كُنْزًا، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَمْرِهِ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ هَذِهِ الثَّنْفِقَةُ؟ لَعَلَّهُ وَجَدَهَا مِنْ كُنْزٍ، وَمَنْ أَنْتَ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ، وَعَهْدِي بِهَا عَشِيَّةَ أَمْسٍ وَفِيهَا دُفْيَانُوسٌ، فَتَسْبُوهُ إِلَى الْجُنُونِ، فَحَمَلُوهُ إِلَىٰ وِلِيِّ أَمْرِهِمْ، فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ وَخَبَرِهِ حَتَّىٰ أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِ، وَهُوَ مُتَحَيَّرٌ فِي حَالِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ، فَلَمَّا

﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بَنِيانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَايٍ ۗ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلِشَوَّافٍ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنِينَ وَأَزْدَادُوا وَسِعَاءَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتَوَلَّاهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

أَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ قَامُوا مَعَهُ إِلَى الْكَهْفِ - مَلِكُ الْبَلَدِ وَأَهْلُهَا - حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالَ لَهُمْ: دَعُونِي حَتَّىٰ أَتَقَدَّمَكُمْ فِي الدُّخُولِ لِأُعْلِمَ أَصْحَابِي فَدَخَلَ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ ذَهَبَ فِيهِ، وَأَخْفَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ، وَيَقَالُ بَلْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ وَرَأَوْهُمْ، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ وَأَعْتَقَهُمْ، وَكَانَ مُسْلِمًا فِيمَا قِيلَ، وَاسْمُهُ يَنْدُوسِيْسٌ، فَفَرِحُوا بِهِ وَاتَّسَوْهُ بِالْكَلَامِ، ثُمَّ وَدَّعُوهُ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَعَادُوا إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ، وَتَوَفَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ <sup>(٢)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أَيِ كَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ وَأَيَّقَطْنَاهُمْ بِهَيْئَاتِهِمْ، أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أَيِ فِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ، فَمِنْ مُثَبِّتِ لَهَا وَمِنْ مُنْكَرٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ ظُهُورَهُمْ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْكَهْفِ

(١) تاريخ الطبري: ٩/٢ (٢) تاريخ الطبري: ٩/٢

هَيْبًا، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أَيِّ فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ، مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ، أَيِّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامِ مَعْصُومٍ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِيَّةَ فِيهِ، فَهُوَ الْمُقَدَّمُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّرُّكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٢٣)

### [الاستثناء عند العزم على فعل في المستقبل]

هَذَا إِشَادٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِيمَا إِذَا عَزَمَ عَلَى شَيْءٍ لِيَفْعَلَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَامُ الْغُيُوبِ الَّذِي يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، كَمَا نَبَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً - وَفِي رِوَايَةٍ: تَسْعِينَ امْرَأَةً، وَفِي رِوَايَةٍ: مِائَةَ امْرَأَةٍ - تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقِيلُ لَهُ: - وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: - قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، فَطَافَ بِهِنَّ فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً نِصْفَ إِنْسَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَمْ يَحْتِثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ» (٥). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ: «عَدَاً أُجِيبُكُمْ» فَتَأَخَّرَ الْوَحْيُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا (٦). وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ بِطُولِهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، فَأَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَادُّرُّكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ إِذَا نَسِيتَ الْاسْتِثْنَاءَ، فَاسْتَشْنِ عِنْدَ ذِكْرِكَ لَهُ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ (٧). وَقَالَ هُشَيْمٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الرَّجُلِ يَحْلِفُ، قَالَ: لَهُ أَنْ يَسْتَشْنِيَّ وَلَوْ إِلَى سَنِيَّةٍ، وَكَانَ يَقُولُ: ﴿وَادُّرُّكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فِي ذَلِكَ.

(١) فتح الباري: ١/٦٣٤ (٢) البداية والنهاية: ٨٨/٧ (٣) الطبري: ١٧/٦٤٢ (٤) الطبري: ١٧/٦٤٢ (٥) فتح الباري: ١٧/٤١ (٦) مسلم: ٣/١٢٧٥ (٦) الطبري: ١٧/٥٩٢ (٧) الطبري: ١٧/٦٤٥

حُجَّةٌ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَدُّهُمْ أَعْلَمَ بِهِمْ﴾ أَيِّ سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ كَهْفِهِمْ، وَذَرَوْهُمُ عَلَى حَالِهِمْ ﴿قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوذِ، وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُونَ أَمْ لَا؟ فِيهِ نَظْرٌ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَّ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّثُ مَا فَعَلُوا (١). وَقَدْ رُوِيَ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا وَجَدَ قَبْرَ دَانِيَالَ فِي زَمَانِهِ بِالْعِرَاقِ، أَمَرَ أَنْ يُخْفَى عَنِ النَّاسِ، وَأَنْ تُدْفَنَ تِلْكَ الرُّقْعَةُ الَّتِي وَجَدُوهَا عِنْدَهُ (٢). فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَلَاحِمِ وَغَيْرِهَا.

﴿سَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمَعْلَمُونَ﴾ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانِيَهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢) ﴿عَدُّهُمْ﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، فَحَكَى ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا قَائِلَ بَرَابِعٍ، وَلَمَّا ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أَيِّ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ، كَمَنْ يَرْمِي إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُصِيبُ وَإِنْ أَصَابَ فَبِلَا قَصْدٍ. ثُمَّ حَكَى الثَّلَاثَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَوْ قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَثَمَانِيَهُمْ كُلُّهُمْ﴾ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ إِشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَا اخْتِيَاجَ إِلَى الْحُوزِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بِلَا عِلْمٍ، لَكِنْ إِذَا أَطْلَعْنَا عَلَى أَمْرٍ فُلْنَا بِهِ وَإِلَّا وَقَفْنَا حَيْثُ وَقَفْنَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أَيِّ مِنَ النَّاسِ. قَالَ قَتَادَةُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، كَانُوا سَبْعَةَ (٣). وَكَذَا رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَنَا مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: عَدَّتْهُمْ سَبْعَةَ (٤). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قَالَ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ كَانُوا سَبْعَةَ. فَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَتِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعَةً. وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا قَدَّمْنَاهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ أَيِّ سَهْلًا

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَنِيِّ  
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ  
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ  
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا  
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ  
الْشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ  
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ  
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ  
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرِبْ  
لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا  
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْثَاهُ وَلَمْ  
تَظَلْمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ  
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

عَبْدُ اللَّهِ: (وَقَالُوا: وَلَيْتُوا)، يعني: أَنَّهُ قَالَ النَّاسُ (٤).  
وَهَكَذَا قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٥). وَفِي هَذَا الَّذِي رَعَمَهُ  
فَتَادَهُ نَظْرًا، فَإِنَّ الَّذِي بَأْيَدِي أَهْلَ الْكِتَابِ: أَنَّهُمْ لَيْتُوا  
ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ مِنْ غَيْرِ تِسْعٍ، يَعْنُونَ بِالسَّمْسِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ  
قَدْ حَكَى قَوْلَهُمْ لَمَا قَالَ: ﴿وَأَزْدَادُوا سَعَاءً﴾ وَالظَّاهِرُ مِنْ  
الآيَةِ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ لَا حِكَايَةَ عَنْهُمْ وَهَذَا اخْتِيَارُ  
ابْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
وَقَوْلُهُ: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أَيُّ أَنَّهُ لَبِصِيرٌ بِهِمْ سَمِعِ  
لَهُمْ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَذَلِكَ فِي مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَلْحِ،  
كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا أَبْصَرَهُ وَأَسْمَعَهُ (٦). وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: مَا أَبْصَرَ

قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: سَمِعْتَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ لَيْثُ  
ابْنُ أَبِي سَلِيمٍ يَرَى ذَهَبَ كَسَائِيٍّ هَذَا (١). وَمَعْنَى قَوْلِ ابْنِ  
عَبَّاسٍ أَنَّهُ يَسْتَنْبِي وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ، أَيُّ إِذَا نَسِيَ أَنْ يَقُولَ فِي  
حَلْفِهِ أَوْ فِي كَلَامِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ، فَالْشُّبْهُ  
لَهُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ، لِيَكُونَ آتِيًا بِسَنَةِ الْإِسْتِثْنَاءِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ  
بَعْدَ الْجَنِّثِ - قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَنَصَّ عَلَى  
ذَلِكَ (٢) - لَا أَنْ يَكُونَ رَافِعًا لِجَنِّثِ الْيَمِينِ وَمُسْتَقِطًا  
لِلْكَفَّارَةِ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ  
الصَّحِيحُ، وَهُوَ الْأَلْتِنُ بِحَمَلِ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ.  
وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ  
لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا﴾ (٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرَ رَبِّكَ  
إِذَا نَسِيتَ ﴿أَنْ تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٤). وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلْ عَسَى  
أَنْ يَهْدِيَ رَبِّي لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أَيُّ إِذَا سُئِلْتَ عَنْ شَيْءٍ  
لَا تَعْلَمُهُ، فَاسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُؤَقِّتَكَ  
لِلصَّوَابِ وَالرُّشْدِ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَلَيْتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا سَعَاءً﴾ قُلِ  
اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ  
وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ  
أَحَدًا ﴿٦٦﴾

### [مُدَّة قِيَامِهِمْ فِي الْكَهْفِ]

هَذَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَيْتَ  
أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ مُنْذُ أَرْقَدَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمُ اللَّهُ  
وَأَعَثَّرَ عَلَيْهِمْ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثِمِائَةَ  
سَنَةٍ تَرِيدُ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهَيْلِيَّةِ، وَهِيَ الثَّلَاثِمِائَةُ سَنَةٍ  
بِالسَّمْسِيَّةِ، فَإِنَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى  
السَّمْسِيَّةِ ثَلَاثُ سِنِينَ، فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ: ﴿وَأَزْدَادُوا  
سَعَاءً﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ أَيُّ إِذَا سُئِلْتَ عَنْ  
لَيْسِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فِي ذَلِكَ، وَتَوَقَّيفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،  
فَلَا تَتَقَدَّمْ فِيهِ بِشَيْءٍ، بَلْ قُلْ فِي مِثْلِ هَذَا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا  
لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيُّ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ  
وَمَنْ أطلعَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا، عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ  
مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ كَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ.  
وَقَالَ فِتَّادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَيْتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ  
سِنِينَ﴾ الْآيَةِ، هَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ رَدَّهُ اللَّهُ  
تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ قَالَ: وَفِي قِرَاءَةِ

(١) الطبري: ١٧/٦٤٥ تبين من هذا أن الأعمش دلّس حيث سمعه من ليث بن أبي سليم وهو مختلط ولم يتميز حديثه فترك (تقريب) الطبري: ١٧/٦٤٦ (٣) الطبراني في الأوسط: ٤٥٥٥/٧ ضعيف إسناده فيه عبدالعزيز بن حصين وهو ضعيف (٤) الطبري: ١٧/٦٤٧ (٥) الطبري: ١٧/٦٤٨ (٦) الطبري: ١٧/٦٥٠

اللَّهُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَسْمَعُهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ. ثُمَّ رَوَى عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ فَلَا أَحَدَ أَبْصَرَ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَسْمَعَ<sup>(١)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ، الَّذِي لَا مُعْتَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ، وَلَا نَصِيرٌ، وَلَا شَرِيكٌ، وَلَا مُشِيرٌ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ.

﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾<sup>(٢٧)</sup> وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(٢٨)</sup>

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَا تَجَاوِزُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ<sup>(٦)</sup>. يَعْنِي تَطْلُبُ بِدَلَّتْهُمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ، ﴿وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أَيْ شُغِلَ عَنِ الدِّينِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ بِالدُّنْيَا، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أَيْ أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفِيهَةٌ وَتَفْرِيطٌ وَضَبَاعٌ، وَلَا تَكُنْ مُطِيعًا وَلَا مُجَبِّا لِيُرِيْقَتِهِ، وَلَا تَغْطِطْ بِمَا هُوَ فِيهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رِبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى﴾<sup>(٧)</sup> [طه: ١٣١].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيضُوا بِغَاوٍ يَمَاءٍ كَلَّمْهُمْ نِسْوَى الْوُجُوهِ نِسْكَ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾<sup>(٨)</sup>

### [الْحَقُّ مِنَ اللَّهِ وَجَزَاءٌ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ هَذَا الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ الشَّدِيدِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أَيْ أَرْضَدْنَا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أَيْ سُورَهَا.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قَالَ: حَاطَ مِنْ نَارٍ<sup>(٧)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيضُوا بِغَاوٍ يَمَاءٍ كَلَّمْهُمْ نِسْوَى الْوُجُوهِ﴾ الْآيَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُهْلُ: الْمَاءُ الْعَلِيظُ مِثْلُ دُرْدِيِّ الزَّيْتِ<sup>(٨)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ كَالدَّمَ وَالْفَيْحِ<sup>(٩)</sup>. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَنْتَهَى حَرُّهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أُذِيبَ<sup>(١٠)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ:

(١) الطبري: ٦٥٠/١٧ (٢) الطبري: ٦٥١/١٧ (٣) الطبري: ٦٥١/١٧ (٤) الطبري: ٦٥١/١٧ (٥) مسلم: ١٨٧٨/٤ (٦) الطبري: ٦١/١٨ (٧) الطبري: ١١/١٨ (٨) الطبري: ١٨/١٣ (٩) الطبري: ١٣/١٨ (١٠) الطبري: ١٢/١٨

﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾<sup>(٢٧)</sup> وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(٢٨)</sup>

### [الْأَمْرُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَبِالصَّبْرِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَإِنْبَاغِهِ إِلَى النَّاسِ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أَيْ لَا مُعَيَّرَ لَهَا وَلَا مُحَرِّفَ وَلَا مُؤَوِّلَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿مُلْتَحَدًا﴾ قَالَ: مَلْجَأٌ<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ قَتَادَةَ: وَلِيًّا وَلَا مَوْلَى<sup>(٣)</sup>. قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: يَقُولُ: إِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَتَلَّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ لَا مَلْجَأَ لَكَ مِنَ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّأُ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٤٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أَيْ سَائِلُكَ عَمَّا فَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ إِنْبَاغِ الرِّسَالَةِ.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أَيْ اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيُهَلِّلُونَهُ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَيُكَبِّرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَّةٍ وَعَشِيئًا، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَوَاءَ كَانُوا قُرَّاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ، أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضَعْفَاءَ. يُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يُجَالِسُهُمْ بِضَعْفَاءٍ أَصْحَابِهِ، كِبَالٍ وَعَمَارٍ وَصُهَيْبٍ وَحَبَابٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَيُفْرَدُ أَوْلِيكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ، فَتَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾... [الأنعام: ٥٢]، وَأَمْرُهُ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ الْآيَةُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي

٢٩٨

سُورَةُ الْكَهْفِ

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ  
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي  
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ  
 أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا  
 ﴿٣٧﴾ لَلَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ  
 دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنْ أَنَا  
 أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ  
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَسْبًا نَّازِمًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِصَ صَعِيدًا  
 زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصِيبُ مَا وَهَّاجُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ. طَلَبًا ﴿٤١﴾  
 وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي عَلَىٰ مَا أَنْفَقْتُ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
 عَلَىٰ عُرُوشِهِمْ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ  
 فِتْنَةٌ بِنَصْرُونَهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ  
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ  
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿وَيَلْبَسُونَ نِيَابًا حَضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ فَالْسُّنْدُسُ لِيَأْسُ  
 رِفَاعٍ رَفِاقٌ كَالْفُصْفَانِ وَمَا جَرَىٰ مَجْرَاهَا. وَأَمَّا الْإِسْتَبْرَقُ  
 فَعَلِيطُ الدَّبِيحِ وَفِيهِ بَرِيقٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ الْإِتْكَاءُ قِيلَ:  
 الْإِضْطِجَاعُ، وَقِيلَ: التَّرْتُّعُ فِي الْجُلُوسِ، وَهُوَ أَشْبَهُ  
 بِالْمَرَادِ هَهُنَا، وَمِنَهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ  
 مُتَّكِنًا» ﴿٤﴾. وَالْأَرْيَاقُ جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتَ  
 الْحِجَلَةِ، وَالْحِجَلَةُ كَمَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا  
 بِالْبَاشِخَانَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ قَالَ قَتَادَةَ: هِيَ  
 الْحِجَالُ، قَالَ مَعْمَرٌ وَقَالَ غَيْرُهُ: السَّرُّرُ فِي الْحِجَالِ ﴿٥﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أَي نِعْمَتِ الْجَنَّةِ  
 ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا، أَي حَسُنَتْ مَنَزَلًا  
 وَمَقِيلًا وَمُقَامًا، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ: ﴿يُنْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ

(١) الطبري: ١٣/١٨ (٢) الطبري: ١٣/١٨ (٣) الطبري:  
 ١٤/١٨ (٤) تحفة الأحوذني: ٥٥٧/٥ (٥) الطبري  
 (٢٣٠٦٣).

أَذَابَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَيْئًا مِنَ الدَّهَبِ فِي أُخْدُودٍ، فَلَمَّا انْمَاعَ  
 وَأَزْبَدَ، قَالَ: هَذَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْمُهْلِ ﴿١﴾. وَقَالَ الضَّحَّاكُ:  
 مَاءٌ جَهَنَّمَ أَسْوَدٌ وَهِيَ سَوْدَاءٌ وَأَهْلُهَا سُودٌ ﴿٢﴾. وَهَذِهِ  
 الْأَقْوَالُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يُبْنَى الْآخَرَ، فَإِنَّ الْمُهْلَ يَجْمَعُ  
 هَذِهِ الْأَوْصَافَ الرَّذِيلَةَ كُلَّهَا، فَهُوَ أَسْوَدٌ مُتْنِنٌ غَلِيظٌ حَارٌّ،  
 وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ أَي مِنْ حَرِّهِ. إِذَا أَرَادَ الْكَافِرُ  
 أَنْ يَشْرِبَهُ، وَقَرَّبَهُ مِنْ وَجْهِهِ شَوَاهُ حَتَّى تَسْقُطَ جِلْدُهُ وَجْهِهِ  
 فِيهِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا جَاعَ أَهْلُ النَّارِ اسْتَعَاثُوا،  
 فَأَغْبِثُوا بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا، فَاجْتَنَّتْ جُلُودُ  
 وَجُوهِهِمْ، فَلَوْ أَنَّ مَرًّا مَرَّ بِهِمْ يَعْرِفُهُمْ، لَعَرَفَ جُلُودُ  
 وَجُوهِهِمْ فِيهَا، ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فَيَسْتَعِثُونَ،  
 فَيَعَاثُونَ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ وَهُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ، فَإِذَا أذْنُوهُ  
 مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اسْتَوَى مِنْ حَرِّهِ لِحُومِ وَجُوهِهِمْ الَّتِي قَدْ  
 سَقَطَتْ عَنْهَا الْجُلُودُ ﴿٣﴾. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ وَصْفِهِ هَذَا  
 الشَّرَابَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الدَّمِيمَةِ الْقَبِيحَةِ: ﴿يُنْسُ الشَّرَابُ﴾  
 أَي يُنْسُ هَذَا الشَّرَابُ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:  
 ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ﴾ [محمد: ١٥] وَقَالَ تَعَالَى:  
 ﴿تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَيْنِي﴾ [الغاشية: ٥] أَي حَارَّةً، كَمَا قَالَ  
 تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ عَيْنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾  
 أَي وَسَاءَتِ النَّارُ مَنَزَلًا وَمَقِيلًا وَمُجْتَمَعًا وَمَوْضِعًا  
 لِلْإِرْتِفَاقِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسَقَّرًا  
 وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ  
 أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ أَوْلَيْكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ نِيَابًا حَضْرًا مِنْ سُندُسٍ  
 وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَاقِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾  
 [جَزَاءٌ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَبَّى بِذِكْرِ السُّعْدَاءِ الَّذِينَ  
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا  
 أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَهُمْ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾  
 وَالْعَدْنُ: الْإِقَامَةُ ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أَي مِنْ تَحْتِ  
 عُرْفِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ  
 تَحْتِي﴾... الْآيَةُ [الزخرف: ٥١] ﴿يُحَلِّونَ﴾ أَي مِنَ الْجِلْبَابِ  
 ﴿فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ وَقَالَ فِي الْمَكَانِ الْآخَرَ: ﴿وَلَوْلَوْ  
 وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣] وَفَصَّلَهُ هَهُنَا فَقَالَ:

مُرْتَفَقًا ﴿٦٦﴾ وَهَكَذَا قَابِلَ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦] ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ يُجْرُونَ أَلْفَرَقَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَقُورُونَ فِيهَا نَجْوَىٰ وَسَلَامًا ﴿٦٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

﴿٦٦﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِبَنِيٍّ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٦٧﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلَهُمَا وَلَمْ نَظْمِرْ لَهُمْ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٦٨﴾ وَكَانَ لَهُمْ تَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٦٩﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٧٠﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٧١﴾

### [مَثَلُ الْمُشْرِكِ الْغَنِيِّ وَالْمُسْلِمِ الْفَقِيرِ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذِكْرِهُ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ مَجَالِسَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَافْتَحَرُوا عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ، فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ، أَيْ بُسْتَانَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ، مَحْفُوفَتَيْنِ بِالنَّخِيلِ، الْمُحْدَقَةِ فِي جَنبَاتِهِمَا، وَفِي خِلْفَيْهِمَا الزَّرُوعُ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزَّرُوعِ مُثْمِرٌ مُقْبِلٌ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلَهُمَا﴾ أَيْ أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا ﴿وَلَمْ نَظْمِرْ لَهُمْ شَيْئًا﴾ أَيْ وَلَمْ نَتَّقِصْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ أَيْ وَالْأَنْهَارُ مُتَفَرِّقَةٌ فِيهِمَا هَهُنَا وَهَهُنَا ﴿وَكَانَ لَهُمْ تَمْرٌ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الْمَالُ، وَقِيلَ: الثَّمَارُ، وَهُوَ أَظْهَرُ هَهُنَا، وَيُؤَيِّدُهُ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى: (وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ) بِضَمِّ النَّاءِ وَتَشْكِينِ الْمِيمِ، فَيَكُونُ جَمْعُ ثَمَرَةٍ كَخَشْبَةٍ وَخَشْبٍ. وَقَرَأَ آخَرُونَ: ﴿تَمْرٌ﴾ بفتح النَّاءِ وَالْمِيمِ <sup>(١)</sup>. ﴿فَقَالَ﴾ أَيْ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ: ﴿لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أَيْ يُجَادِلُهُ، وَيُخَاصِمُهُ بِتَخَرُّعِهِ عَلَيْهِ، وَيَتَرَأْسُ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أَيْ أَكْثَرُ خَدَمًا وَحَسَمًا وَوَلَدًا، قَالَ قَتَادَةُ: تِلْكَ - وَاللَّهِ - أَمِّيَّةُ الْفَاجِرِ، كَثْرَةُ الْمَالِ وَعِزَّةُ النَّفَرِ <sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ أَيْ بِكُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَجْبِيرِهِ وَإِنْكَارِ الْمَعَادِ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وَذَلِكَ اغْتِرَارًا مِنْهُ لِمَا رَأَى فِيهَا مِنَ الزَّرُوعِ وَالثَّمَارِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْأَنْهَارِ الْمَطْرَدَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرْجَائِهَا، ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَفْرُغُ وَلَا تَهْلِكُ وَلَا

تَتَلَفُ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عَقْلِهِ، وَصَغْفِ بَقِيَّتِهِ بِاللَّهِ، وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أَيْ كَائِنَتْهُ ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أَيْ وَلَئِنْ كَانَ مَعَادٌ وَرَجَعْتُ وَمَرَدُّ إِلَى اللَّهِ لِيَكُونَنَّ لِي هُنَاكَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْحَظِّ عِنْدَ رَبِّي، وَلَوْلَا كِرَامَتِي عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي هَذَا، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وَقَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مریم: ٧٧] أَيْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ تَأْتِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ، كَمَا سَبَّأَتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَصِنِّي رَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ ضَعْفًا رَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَائُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

### [جَوَابُ الْمُؤْمِنِ الْفَقِيرِ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَهُ بِهِ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ، وَأَعْطَاهُ لَهُ وَرَاجِرًا عَمَّا هُوَ فِيهِ، مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالِاغْتِرَارِ: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ الْآيَةُ، وَهَذَا إِنْكَارٌ وَعُظْمٌ لِمَا وَفَع فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ، وَابْتِدَاءٌ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ وَهُوَ آدَمُ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾... الْآيَةُ [البقرة: ٢٨]، أَيْ كَيْفَ تَجْحَدُونَ رَبَّكُمْ وَدَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ظَاهِرَةً جَلِيلَةً، كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَعْدُومًا، ثُمَّ وَجِدَ، وَلَيْسَ وُجُودُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا مُسْتَبِدًّا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، لِأَنَّهُ بِمَثَابَتِهِ، فَعَلِمَ إِسْنَادًا إِيْجَادِهِ إِلَى خَالِقِهِ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ: ﴿لَنُكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أَيْ لَكُنْ أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ، بَلْ اعْتَرَفْتُ لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أَيْ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّيًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ هَذَا تَحْضِيضٌ وَحَثٌّ عَلَى ذَلِكَ، أَيُّ هَلَا إِذْ أَعْجَبْتِكَ جِبْنَ دَخَلْتَهَا وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا، حَمَدْتَ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَأَعْطَاكَ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ مَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرُكَ، وَقُلْتَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ حَالِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ، فَلْيُتَلَّ: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وَهَذَا مَا حُوذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَقَدْ نَبَتْ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ أَيُّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا﴾ أَيُّ عَلَى جَنَّتِكَ فِي الدُّنْيَا الَّتِي ظَنَنْتَ أَنَّهَا لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْنَى ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ<sup>(٢)</sup> وَمَالِكٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ: أَيُّ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَطَرٌ عَظِيمٌ مُزْعَجٌ يُفْلِعُ زَرْعَهَا وَأَشْجَارَهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَضْصِحَ صَوْبًا رَلْفًا﴾ أَيُّ بَلَقَعَا تَرَابًا أَمْلَسَ، لَا يَبْتُ فِيهِ قَدَمٌ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالْجُرْزِ الَّذِي لَا يَبْتُ شَيْئًا<sup>(٣)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا﴾ أَيُّ غَائِرًا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِي يَطْلُبُ وَجْهَ الْأَرْضِ، فَالغَائِرُ يَطْلُبُ أَسْفَلَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَاكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [المالك: ٣٠] أَيُّ جَارٍ وَسَائِحٍ، وَقَالَ هُنَّ: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا﴾ وَالغُورُ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى غَائِرٍ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ.

﴿وَأَحِيطَ بِشَرِّهِمْ فَاصْبَحَ يَقُولُ كَفَيْتِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكْتُمْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ

هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا﴾

[الْتَّبِجَةُ السَّمِيَّةُ لِلْكَافِرِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَرِّهِمْ﴾ بِأَمْوَالِهِ، أَوْ بِشِمَارِهِ عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ، وَالْمُقْصُودُ أَنَّهُ وَقَعَ بِهِذَا الْكَافِرِ مَا كَانَ يَحْذَرُ، مِمَّا خَوَّفَهُ بِهِ الْمُؤْمِنُ مِنْ إِرْسَالِ الْحُسْبَانِ عَلَى جَنَّتِهِ الَّتِي اغْتَرَّ بِهَا وَأَلْهَتْهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاصْبَحَ يَقُولُ كَفَيْتِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ: يَصْنَعُ كَفَيْتَهُ مُتَأَسِّفًا مُتَلَهِّمًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَذْهَبَهَا عَلَيْهَا ﴿وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكْتُمْ بِرَبِّي

أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> أَيُّ عَشِيرَةٌ أَوْ وُلْدٌ، كَمَا افْتَحَرَ بِهِمْ وَاسْتَعَزَّ ﴿يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴿اخْتَلَفَ الْفُرَّاءُ هَهُنَا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ هُنَالِكَ﴾ أَيُّ فِي ذَلِكَ الْمُؤْتِنِ الَّذِي حَلَّ بِهِ عَذَابُ اللَّهِ، فَلَا مُنْفَذَ لَهُ مِنْهُ، وَيَبْتَدِيءُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى: ﴿وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ وَيَبْتَدِيءُ بِقَوْلِهِ: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَةِ ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ فَتَحَ الْوَاوَ مِنَ الْوَلَايَةِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى هُنَالِكَ: الْمَوَالِءُ لَهُ، أَيُّ هُنَالِكَ كُلُّ أَحَدٍ [مِنْ] مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَالِىُّ الْمُوَالَاةِ وَالْخُضُوعِ لَهُ إِذَا وَقَعَ الْعَذَابُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدِيثُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤] وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] وَمِنْهُمْ مَنْ كَسَرَ الْوَاوَ مِنَ الْوَلَايَةِ، أَيُّ هُنَالِكَ الْحُكْمُ لِلَّهِ الْحَقِّ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ (الْحَقِّ) عَلَى أَنَّهُ نَعَتْ لِلْوَلَايَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وَمِنْهُمْ مَنْ خَفَضَ الْقَافَ عَلَى أَنَّهُ نَعَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ الْآيَةَ [الأنعام: ٦٢] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا﴾ أَيُّ جَزَاءً ﴿وَخَيْرٌ عَقْبًا﴾ أَيُّ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَوَابًا خَيْرٌ، وَعَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ، كُلُّهَا خَيْرٌ.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

مُقَدِّرًا﴾ ﴿٥٠﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَلْقِيئَةُ الصَّلَاحُ

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ نَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ ﴿٤٦﴾

[مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ﴿مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ فِي زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَانْقِصَائِهَا ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أَيُّ مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ، فَسَبَّ وَحَسَنَ، وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالتَّوْرُ وَالنَّضْرَةُ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلُّهُ ﴿فَاصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يَابَسًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أَيُّ نَفْرَهُ وَتَطْرَحُهُ

(١) فتح الباري: ٢١٧/١١ ومسلم: ٢٠٧٦/٤ (٢) الطبري:

٢٥/١٨ (٣) الطبري: ٢٦/١٨ (٤) الطبري: ٢٧/١٨

سورة الكهف

٢٩٩

سورة الكهف

ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾  
 أَيُّهُمَا قَادِرٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ وَهَذِهِ الْحَالِ، وَكَثِيرًا مَا  
 يَضْرِبُ اللَّهُ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِهَذَا الْمَثَلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى  
 فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن  
 السَّمَاءِ فَأَخْطَأَتْ بِهِ تَبَاتٌ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ...  
 [الآية يونس: ٢٤]، وَقَالَ فِي الزُّمَرِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا  
 أَلْوَانُهُ... [الآية الزمر: ٢١]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ:  
 ﴿اعْمَلُوا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغِبٌ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ  
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْحَبَ الْكِفَارَ بِنَانِهِ...  
 [الآية الحديد: ٢٠] وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الدُّنْيَا حُلُوهٌ  
 خَضِرَةٌ»<sup>(١)</sup>.

**[عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ]**  
 وَقَوْلُهُ: ﴿الْعَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كَقَوْلِهِ:  
 ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ  
 الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ... [الآية آل عمران: ١٤] وَقَالَ  
 تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ  
 عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] أَيِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَتِهِ،  
 خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ اشْتِعَالِكُمْ بِهِمْ، وَالْجَمْعُ لَهُمْ، وَالشَّفَقَةُ  
 الْمَفْرَطَةُ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ  
 رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ  
 السَّلَفِ: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ<sup>(٢)</sup>.  
 وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:  
 ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ  
 إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ<sup>(٣)</sup>. وَهَكَذَا سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ  
 ابْنَ عَفَّانَ عَنْ ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ مَا هِيَ؟ فَقَالَ:  
 هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ،  
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَوَاهُ الْإِمَامُ  
 أَحْمَدُ<sup>(٤)</sup>.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ  
 اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَخٍ بَخٍ لِحَمْسٍ مَا أَنْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا  
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ  
 الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ - وَقَالَ: - بَخٍ بَخٍ لِحَمْسٍ  
 مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَقِيمًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ،

وَبِالْحِسَابِ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ:  
 ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ قَالَ: هِيَ ذِكْرُ اللَّهِ، قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا  
 اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ،  
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى  
 رَسُولِ اللَّهِ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالْحَجُّ، وَالصَّدَقَةُ،  
 وَالْعَتَقُ، وَالْجِهَادُ، وَالصَّلَاةُ، وَجَمِيعُ أَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ.  
 وَهُنَّ الْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ الَّتِي تَبْقَى لِأَهْلِهَا فِي الْجَنَّةِ مَا  
 دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ<sup>(٦)</sup>. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ  
 عَبَّاسٍ: هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ<sup>(٧)</sup>. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ  
 ابْنِ أَسْلَمَ: هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا<sup>(٨)</sup>. وَاخْتَارَهُ ابْنُ  
 جَرِيرٍ رَجَمَهُ اللَّهُ.

(١) مسلم: ٢٠٩٨/٤ (٢) الطبري: ٣٢/١٨ (٣) الطبري:  
 ٣٣/١٨ (٤) أحمد: ٧١/١ (٥) أحمد: ٢٣٧/٤ (٦)  
 الطبري: ٣٥/١٨ (٧) الطبري: ٣٥/١٨ العوفي مع عائلته  
 ضعفاء (٨) الطبري: ٣٥/١٨

أَنَّ هَذَا كَائِنٌ .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ﴾ أَي كِتَابِ الْأَعْمَالِ الَّذِي فِيهِ الْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ، وَالْفَتِيلُ وَالطُّطِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ﴿فَتَرَى الْمُعْجَمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أَي مِنْ أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ وَأَفْعَالِهِمْ النَّبِيحَةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ لَنُنَا أَيُّ يَا حَسْرَتَنَا وَوَيْلَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِي أَعْمَارِنَا﴾ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُتُوبًا﴾ ﴿٤٧﴾

### [أَهْمُ أَهْوَالِ السَّاعَةِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ أَي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْتَضَرًا﴾ [آية آل عمران: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَنَسْنُ بَوْمِيذٍ بِمَا قَدَّمُوا وَآخَرُ﴾ [القيامة: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] أَي تُظْهِرُ الْمُحَبَّاتِ وَالضَّمَائِرُ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ»<sup>(٣)</sup> أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَفِي لَفْظٍ: «يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِثْبَاتِهِ بِقَدْرِ غَدْرِيهِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رُبُّكَ أَحَدًا﴾ أَي فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا، وَلَا يَظِلُّمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بَلْ يَعْمُرُ وَيَضْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ، وَيُعَدِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَيَمْلَأُ النَّارَ مِنَ الْكُفَّارِ وَأَصْحَابِ الْمَعَاصِي، ثُمَّ يُجِئِي أَصْحَابَ الْمَعَاصِي وَيُخَلِّدُ فِيهَا الْكَافِرِينَ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا﴾ [آية النساء: ٤٠]، وَقَالَ ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿حَسْبَيْنَا﴾ [الأنبياء: ٤٧] وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَمِسْرْتُ عَلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرُ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَّأُ

﴿يَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُعْجَمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ وَيَوْمَئِذٍ نُنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رُتُوبًا﴾ ﴿٤٩﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ﴿٩﴾ وَنُسِيرُ الْجِبَالَ سُيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠] أَي تَذْهَبُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَتَرَوُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ جَازِمَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وَقَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ تَذْهَبُ الْجِبَالُ، وَتَسْأَوِي الْمَهَادِ، وَتَبْقَى الْأَرْضُ ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أَي سَطْحًا مُسْتَوِيًا لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا أَمْتًا، أَي لَا وَاوِي وَلَا جَبَلٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أَي بَادِيَةً ظَاهِرَةً لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ، وَلَا مَكَانٌ يُوَارِي أَحَدًا، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ صَاحُونَ لِرَبِّهِمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ حَافِيَةٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لَا حَجَرَ فِيهَا وَلَا غِيَابَةَ<sup>(١)</sup>. قَالَ قَتَادَةُ: لَا بِنَاءَ وَلَا شَجَرَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أَي وَجَمَعْنَاهُمْ، الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِرِينَ، فَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا لَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا، كَمَا قَالَ: ﴿فَلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٩، ٥٠] وَقَالَ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَتَمُورُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَتُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨] وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هَذَا تَفْرِيعٌ لِلْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ، وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُمْ: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ أَي مَا كَانَ ظَنُّكُمْ أَنَّ هَذَا وَاقِعٌ بِكُمْ، وَلَا

(١) الطبري: ٣٦/١٨ (٢) الطبري: ٣٦/١٨ (٣) أحمد: ٣/

١٤٢ (٤) فتح الباري: ٣٥٤/١٢ ومسلم: ٣/٣٦١

الْحَاجَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّمَ بِأَعْمَالِ الْمَلَائِكَةِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَعَبَّدَ وَتَسَكَّ، فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ وَعَصَى بِالْمُخَالَفَةِ، وَتَبَّهَ تَعَالَى هَهُنَا عَلَى أَنَّهُ ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾ أَي عَلَى أَنَّهُ خَلِقٌ مِنْ نَارٍ، كَمَا قَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَمَلَقتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لِأَصْلُ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أَي فَخَرَجَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْفُسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ، يُقَالُ: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْمَامِهَا، وَفَسَقَتِ الْفَارَةُ مِنْ جُحْرِهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ لِلْعَيْثِ وَالْفَسَادِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُفْرَعًا وَمُؤَيِّدًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ: ﴿أَفْتَنَّاخُذُوهُمْ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ . . . الْآيَةَ، أَي بَدَلًا عَنِّي، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَسُّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ وَهَذَا الْمَقَامُ كَقَوْلِهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَمَصِيرِ كُلِّ مَنْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ السَّعْدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ فِي سُورَةِ يَس: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَقُولُونَ﴾ [يس: ٥٩-٦٢].

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾<sup>(٥)</sup>

[الهِلَّةُ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَشْهَدُوا خَلْقَ شَيْءٍ حَتَّى أَنْفُسَهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي عَيْدًا أَمْثَالِكُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَلَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا كَانُوا إِذْ ذَاكَ مُوجُودِينَ، يَقُولُ تَعَالَى: أَنَا الْمُسْتَقْبَلُ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمُدَبِّرُهَا وَمُقَدِّرُهَا وَحَدِي، لَيْسَ مَعِي فِي ذَلِكَ شَرِيكٌ، وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ، وَلَا نَظِيرٌ، كَمَا قَالَ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّونَ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُونَ أَحَدًا شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْكُمْ شَيْئًا﴾ [س: ٢٢، ٢٣]، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ قَالَ مَالِكٌ: أَعْوَانًا.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ رَضَعْتُمْ فَلَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾<sup>(٥)</sup> وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ

تَوْبَهُ فَاعْتَنَفَنِي وَاعْتَنَفْتَهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادَ - عُرَاءَةً غُرُلًا بَعْضُهُمْ» قُلْتُ: وَمَا بَعْضُهُمْ؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةِ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُفَاءَةً عُرَاءَةً غُرُلًا بَعْضُهُمْ؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْعَوَامِ بْنِ مَرْحَمٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْجَمَاءَ لَتَقْتَضِيَنَّ مِنَ الْقِرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup> رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِهِ أُخْرَى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾<sup>(٥)</sup>

[فِصَّةُ آدَمَ وَإِبْلِيسَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا بَنِي آدَمَ عَلَى عَدْوَاةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ وَلَا يَبِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمُفْرَعًا لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ وَخَالَفَ خَالِقَهُ وَمَوْلَاهُ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَابْتَدَأَهُ، وَبِالطَّافَةِ رَزَقَهُ وَغَدَاهُ، ثُمَّ بَعَدَ هَذَا كُلُّهُ وَالِي إِبْلِيسَ وَعَادَى اللَّهَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أَي لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْرِيرُهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أَي سُجُودَ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْسُورٍ﴾<sup>(٦)</sup> فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أَي خَانَهُ أَصْلُهُ، فَإِنَّهُ خَلِقٌ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَأَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»<sup>(٣)</sup>. فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وَعَاءٍ بِمَا فِيهِ، وَخَانَهُ الطَّبْعُ عِنْدَ

(١) أحمد: ٤٩٥/٣ (٢) زوائد المسند ١٢/١ (٣) مسلم: ٤/

٢٢٩٤ (٤) الطبري: ٥٠٦/١٨

مُؤَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

[عَجَزَ الشُّرَكَاءُ عَنِ الْجَوَابِ وَحُضُورَ الْمُجْرِمِينَ النَّارَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُخَاطَبُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ تَقْرِيبًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا: ﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أَي فِي دَارِ الدُّنْيَا أَدْعُوهُمْ الْيَوْمَ يُنْفَذُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤] وَقَوْلُهُ: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمُ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾... الْآيَةُ [الفصل: ٦٤]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ... الْآيَتِينَ [الأحاف: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: ٨١، ٨٢] وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مَهْلِكًا (١).

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُؤَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَى آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَفْرُقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَلَا خَلَاصَ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخِرِ، بَلْ بَيْنَهُمَا مَهْلِكٌ وَهُوَ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ كَبِيرٌ. وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ عَائِدًا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّهُ يَفْرُقُ بَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ بِهِ (٢). فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ الْبَفْرُوقُ﴾ [الروم: ١٤] وَقَالَ: ﴿يَوْمِئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْتَدُّوا أَلْيَوْمَ أَنَّهُا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرِيقًا بَيْنَهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أَي أَنَّهُمْ لَمَّا عَابَتُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تَقَادُ سَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ تَحَفَّفُوا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ اللَّهُمَّ وَالْحُزْنَ لَهُمْ، فَإِنْ تَوَقَّعَ الْعَذَابَ وَالْخَوْفَ مِنْهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ، عَذَابٌ نَاجِزٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أَي لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ يُعَدِّلُ بِهِمْ

سُورَةُ الْكَهْفِ

٣٠٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا رَسِلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ أَهْوَاءًا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٦﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا الْعَجَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٠﴾

عَنْهَا، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

[تَصْرِيفُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ]

يَقُولُ تَعَالَى: وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الْأُمُورَ وَفَصَّلْنَاهَا كَثِيلًا يَصِلُوا عَنِ الْحَقِّ وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْقُرْآنِ، الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ الْمَعَارِضَةِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ وَبَصَّرَهُ لَطَرِيقِ النَّجَاةِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ وَقَاطَمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا أَنْتُمْ بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَأَنْصَرَفَ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَتَوَلَّى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

(١) الطبري: ٤٦/١٨ ضعيف لانقطاعه (٢) الطبري: ٤٦/١٨

جَدَلًا ﴿١﴾ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ (٢).

﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِلٍ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

### [بَيَانُ تَمَرُّدِ الْكُفَّارِ]

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ تَمَرُّدِ الْكُفْرَةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ مَعَ مَا يُشَاهِدُونَ مِنَ الْآيَاتِ وَالِدَلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَنَّهُ مَا مَنَعَهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ ذَلِكَ إِلَّا طَلَبُهُمْ أَنْ يُشَاهِدُوا الْعَذَابَ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ عِيَانًا، كَمَا قَالَ أُولَئِكَ لِنَبِيِّهِمْ: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وَأَخْرَوْنَ قَالُوا: ﴿أَنْتِنَا يَعَذَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَنْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِئَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: ٧] إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ﴾ مِنْ غَشِيَانِهِمْ بِالْعَذَابِ وَأَخَذِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أَيْ يَرُونَهُ عِيَانًا مُوَاجِهَةً وَمُقَابِلَةً، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أَيْ قَبْلَ الْعَذَابِ مُبَشِّرِينَ مَنْ صَدَّقَهُمْ وَأَمَنَ بِهِمْ، وَمُنذِرِينَ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكُفَّارِ بِأَنَّهُمْ يُجَادِلُونَ ﴿بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أَيْ لِيُضَعِّفُوا بِهِ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلِ لَهُمْ ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ أَيْ اتَّخَذُوا الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا الرُّسُلَ وَمَا أُنذِرُوهُمْ وَخَوَّفُوهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿هُزُوًا﴾ أَيْ سَخَرُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّهَا جَلَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ لَهْمُ مَوْعِدًا لَنْ يُجَادُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَذَلِكَ الْقُرْآنُ أَهْلَكَنَّهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِهَيْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

٣٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا غَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَيَّ ءِثَارُهَامَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءِانِيتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَفَنَلَهُ، قَالَ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

### [أَظْلَمَ النَّاسُ مَنْ أَعْرَضَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ: وَءَايَ عِبَادِ اللَّهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، أَيْ تَنَاسَاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يُضِغْ لَهَا وَلَا أَلْفَىٰ إِلَيْهَا بِأَلَا، ﴿وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ أَيْ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ ﴿أَكِنَّةً﴾ أَيْ أَعْطَيْنَاهُ وَعَسَاوَةً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أَيْ لِنَلَّا يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْبَيَانَ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أَيْ صَمَمًا مَعْنَوِيًّا عَنِ الرَّسَادِ ﴿وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أَيْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ غَفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ﴾ كَمَا قَالَ: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] وَقَالَ: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

الرعد: ١٣] وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ شَتَّى، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْلُمُ وَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ، وَرَبَّمَا هَدَى بَعْضَهُمْ مِنَ الْعَيِّ إِلَى الرَّشَادِ، وَمَنْ اسْتَمَرَ مِنْهُمْ فَلَهُ يَوْمٌ يَشِيبُ فِيهِ الْوَلِيدُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ أَي لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ وَلَا مَعِيلٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَتِلْكَ الْفُرُوقُ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أَي الْأُمَمُ السَّالِفَةُ وَالْفُرُوقُ الْحَالِيَةُ، أَهْلَكْنَا هُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ﴿وَجَحَلْنَا لِهَيْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أَي جَعَلْنَاهُ إِلَى مَدَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، أَي وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، إِحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ رُسُلٍ وَأَعْظَمَ نَبِيِّ، وَلَسْتُمْ بِأَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْهُمْ، فَخَافُوا عَذَابِي وَتَذَرِي.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُعَ مَجْمَعَ

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِينَا عِدَاءَ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا السَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدْنَا عَلَىٰ عَنَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاثِنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾﴾

[قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ]

سَبَبٌ قَوْلِ مُوسَى لِقَتْلِهِ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، هَذَا الْكَلَامُ: أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ مُوسَى، فَأَحَبَّ الرَّحِيلَ إِلَيْهِ، وَقَالَ لِقَتْلِهِ ذَلِكَ: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ أَي لَا أَزَالُ سَائِرًا ﴿حَتَّىٰ أَتْلُعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أَي وَلَوْ أَنِّي أَسِيرُ حُقُبًا مِنَ الزَّمَانِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْحُقُبَ فِي لَعْنَةِ قَيْسِ سَنَةَ <sup>(١)</sup>. ثُمَّ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: الْحُقُبُ ثَمَانُونَ سَنَةً <sup>(٢)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سَبْعُونَ خَرِيفًا <sup>(٣)</sup>. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ قَالَ: دَهْرًا <sup>(٤)</sup>، وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ مِثْلَ ذَلِكَ <sup>(٥)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَمَرَ بِحَمْلِ حُوتٍ مَمْلُوحٍ مَعَهُ، وَقِيلَ لَهُ: مَتَى فَقَدْتَ الْحُوتَ، فَهَوَّ ثَمَّةً، فَسَارَا حَتَّىٰ بَلَغَا مَجْمَعَ

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أَي الْمَكَانَ الَّذِي نَسِيَا الْحُوتَ فِيهِ، وَنَسِيَ النَّسْيَانُ إِلَيْهِمَا، وَإِنْ كَانَ يُوشَعُ هُوَ الَّذِي نَسِيَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الذُّلُومُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وَأِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِحِ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، فَلَمَّا ذَهَبَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَسِيَاهُ فِيهِ بِمَرْحَلَةٍ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿لِقَتْلِهِ ءَاثِنَا عِدَاءَ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾ أَي الَّذِي جَاوَزَا فِيهِ الْمَكَانَ ﴿نَصَبًا﴾ يَعْنِي تَعَبًا ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا السَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ أَي طَرِيقَهُ ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ أَي هَذَا هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ ﴿فَارْتَدْنَا﴾ أَي رَجَعَا ﴿عَلَىٰ ءَاثَرِهِمَا﴾ أَي طَرِيقَهُمَا ﴿قَصَصًا﴾ أَي يَقْضَانِ آثَارَ مَسْئِيهِمَا وَيَقْفَوَانِ آثَرَهُمَا ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاثِنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وَهَذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيِّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبُ الْخَضِرِ

(١) الطبري: ٥٦/١٨ (٢) الطبري: ٥٦/١٨ (٣) الطبري: ٥٦/١٨ (٤) الطبري: ٥٧/١٨

(٥) الطبري: ٥٧/١٨ (٦) الطبري: ٥٨/١٨ ابن جريج مدلس

ولم يصرح وأيضًا فيه الحسين بن داود المصيصي كما تقدم (٧) الطبري (٢٣١٩٥) فيه تدليس ابن إسحاق والسند إليه ضعيف محمد بن حميد وشيخه سلمة بن الفضل ضعيفان.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَّبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبِي بَنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مُوسَى قَامَ حَاطِبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حَوْتًا فَتَجْعَلُهُ بِمَكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَتَدَّتِ الْحَوْتُ فَهُوَ نَمٌّ، فَأَخَذَ حَوْتًا فَجَعَلَهُ بِمَكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعَ ابْنُ نُونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحَوْتُ فِي الْمَكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ. فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحَوْتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ، نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحَوْتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: «ءَايُنَا عَدَاءُنَا لَقَدْ لَبِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصْبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتِ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» قَالَ: فَكَانَ لِلْحَوْتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا» قَالَ: فَرَجَعَا يُقْضِيَانِ أَثَرَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مَسْجُوعٌ بِتُوبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَآتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ! فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْتَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ. فَقَالَ مُوسَى: «سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: «إِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَنْجُوا إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. «قَالَ أَنَّهُ أَقْبَلُ لَكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي

عَسْرًا» - قَالَ: - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: - فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عُضْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّرَ فِي الْبَحْرِ تَقَرُّرًا أَوْ تَقَرَّرْتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلَّمِي وَعَلَّمَكُ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا تَقَصَّ هَذَا الْعُضْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَفَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «أَقَلَّتْ نَفْسًا رَزِيئَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» (٦٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى «قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي عَذْرًا» (٦٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ - أَي مَائِلًا - فَقَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ: «فَأَقِمْهُمْ» فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا وَلَمْ يُضَيِّقُوا «لَوْ شِئْتَ لَخَدَّتَ عَلَيْهِمْ أَجْرًا» (٦٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَيْنِكَ سَائِئِكَ بِأَوْبِلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَوَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِمَا» قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا) وَكَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ) (١).

ثُمَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ نَحْوَهُ، وَيَبِيهِ: فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعَ بَنُ نُونٍ وَمَعَهُمَا الْحَوْتُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَتَزَلَّ عِنْدَهَا، قَالَ: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَنَامَ، قَالَ: وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا الْحَيَاءُ لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ فَأَصَابَ الْحَوْتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ، فَتَحَرَّكَ وَانْسَلَّ مِنَ الْمَكْتَلِ فَدَخَلَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: «ءَايُنَا عَدَاءُنَا» قَالَ: وَسَاقِ الْحَدِيثَ، وَوَقَعَ عُضْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَغَمَسَ مِقْبَارَهُ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عَلَّمِي وَعِلْمُكَ وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارٌ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُضْفُورُ مِقْبَارَهُ... وَذَكَرَ تَمَامَهُ بِنَحْوِهِ (٢).

«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَنْتَ عَلِيٌّ أَنْ تَعْلَمِينَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» (٦٥)

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ.

حُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ

﴿٦٦﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٧﴾

### [لقاء موسى مع الخضر ومصاحبته إياه]

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ قَبْلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ، الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِعِلْمٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مُوسَىٰ، كَمَا أَنَّهُ أُعْطِيَ مُوسَىٰ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ الْخَضِرُ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ﴾ سَوَّالٌ تَلَطَّفَ لَا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِجْبَارِ، وَهَكَذَا يَبْنِي أَنْ يَكُونَ سَوَّالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَتَيْتُكَ﴾ أَيُّ أَصْحَابِكَ وَأَرَأَيْتَكَ ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا﴾ أَيُّ مِمَّا عَلَّمْتَ اللَّهُ شَيْئًا اسْتَرَشِدُ بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ، فَعِنْدَهَا ﴿قَالَ﴾ الْخَضِرُ لِمُوسَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أَيُّ إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ مُصَاحَبَتِي لِمَا تَرَىٰ مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ، لِأَنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَكَهُ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مَا عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ، فَكُلُّ مِمَّا مُكَلِّفٌ بِأُمُورٍ مِنَ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ صُحْبَتِي ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾ فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنَكِّرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مُعْدُورٌ فِيهِ، وَلَكِنْ مَا أَطَّلَعْتَ عَلَىٰ حِكْمَتِهِ وَمُصْلِحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي أَطَّلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ ﴿قَالَ﴾ أَيُّ مُوسَىٰ: ﴿سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ أَيُّ عَلَىٰ مَا أَرَىٰ مِنْ أُمُورِكَ ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ أَيُّ وَلَا أُخَالِفُكَ فِي شَيْءٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ شَارَطَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ أَيُّ إِتْبَاءً ﴿حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أَيُّ حَتَّىٰ أَبْدَأَكَ أَنَا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرٍ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَبِيتُ وَلَا تَรْهَقْنِي مِن أَمْرِي﴾

﴿عَسْرًا ﴿٧٩﴾﴾

### [قصة خرق السفينة]

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ مُوسَىٰ وَصَاحِبِهِ وَهُوَ الْخَضِرُ، أَنَّهُمَا انْطَلَقَا لِمَا تَوَافَقَا وَاصْطَحَبَا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ عَن شَيْءٍ أَنْكَرَهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسِهِ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ، فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ كَيْفَ رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ، وَأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُمَا بَعْضُ نَوَلٍ، يَعْنِي بَعْضُ أُجْرَةٍ، تَكْرِمَةً لِلْخَضِرِ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَلَجَجَتْ، أَيُّ دَخَلَتْ

﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي فَدَ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٧﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا نِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَخَّدْتَ عَلَيْهِ جِرًّا ﴿٧٩﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنًا فَأَخَذْنَا مِنْهُ كُفْرًا ﴿٨٢﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨٣﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٤﴾ وَيَتَذَكَّرُ لَكُمْ عَن ذِي الْقُرْنَيْنِ فَلْيَسْأَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٥﴾

اللَّجَّةَ، فَأَمَّ الْخَضِرُ فَخَرَقَهَا، وَاسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاهِهَا ثُمَّ رَفَعَهَا، فَلَمْ يَمْلِكْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ مُنْكَرًا عَلَيْهِ: ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرٍ أَهْلَهَا﴾ وَهَذِهِ اللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ لَا لَامُ التَّغْلِيلِ.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا <sup>(١)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: عَجَبًا <sup>(٢)</sup>. فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ الْخَضِرُ مُدْكَرًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْطِ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يَعْنِي وَهَذَا الصَّبْرُ فَعَلْتُهُ قَصْدًا، وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اشْتَرَطْتَ مَعَكَ أَنْ لَا تُنْكَرَ عَلَيَّ فِيهَا، لِأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خَيْرًا وَلَهَا دَخْلٌ هُوَ مُضْلِحَةٌ، وَلَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ ﴿قَالَ﴾ أَيُّ مُوسَىٰ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَبِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِن أَمْرِي عَسْرًا﴾ أَيُّ لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَلَا تُشَدِّدْ عَلَيَّ، وَلِهَذَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتِ الْأُولَىٰ مِنْ مُوسَىٰ نِسْيَانًا» <sup>(٣)</sup>.

(١) الطبري: ٧٢/١٨ (٢) الطبري: ٧٢/١٨ (٣) فتح الباري:

﴿فَاطْلِقًا حَتَّىٰ إِذَا لَيَاقِبًا عَلَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُنْكِرُ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٦﴾

### [فِصَّةُ قَتْلِ الْغُلَامِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَاطْلِقًا﴾ أَي بَعْدَ ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَيَاقِبًا عَلَمًا فَقَتَلَهُ﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْعُلَمَانِ فِي قَرِيَّةٍ مِنَ الْقُرَى، وَأَنَّهُ عَمَدَ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَضْوَأَهُمْ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا شَاهَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا، أَنْكَرَهُ أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى، وَبَادَرَ فَقَالَ: ﴿أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أَي صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْجُنْحَ وَلَا عَمِلَتْ إِنَّمَا بَعْدُ، فَقَتَلْتَهُ؟ ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أَي بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِهِ ﴿لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُنْكِرُ﴾ أَي ظَاهِرَ النِّكَارَةِ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فَكَأَدَّ أَيْضًا فِي التَّدْكَارِ بِالشَّرْطِ الْأُولَى، فَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أَي إِنْ اعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أَي أَعْذَرْتُ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ، بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لَا بُصْرَ الْعَجَبِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنْ سَأَلْتَكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا»<sup>(١)</sup> [مثقله].

﴿فَاطْلِقًا حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرِيَّةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ سَائِبُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَوْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾

### [فِصَّةُ إِقَامَةِ الْجِدَارِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمَا إِنَّهُمَا ﴿فَاطْلِقًا﴾ بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرِيَّةٍ﴾ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ: أَنَّهَا الْأَيْلَةُ<sup>(٢)</sup>. وَفِي الْحَدِيثِ: «حَتَّىٰ إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرِيَّةٍ لَيْلًا»<sup>(٣)</sup> أَي بُحْلَاءً ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضِفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ إِسْنَادُ الْإِرَادَةِ هُنَا إِلَى الْجِدَارِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمُحَدَّثَاتِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ، وَالْإِنْقِضَاضُ هُوَ السَّقُوطُ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَاقَامَهُ﴾ أَي فَرَدَّهُ إِلَى حَالِهِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَدَّهُ بِيَدَيْهِ وَدَعَمَهُ حَتَّى رَدَّ مَيْلَهُ، وَهَذَا خَارِقٌ،

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى لَهُ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أَي لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُضِفُوهُمَا، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْمَلَ لَهُمْ مَجَانًا ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ﴾ أَي لِأَنَّكَ شَرَطْتَ عِنْدَ قَتْلِ الْغُلَامِ: أَنَّكَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي، فَهُوَ فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ وَسَائِبُكَ بِنَاوِيلٍ أَي بِتَفْسِيرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.

﴿أَمَّا السِّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿٧٩﴾  
[تَأْوِيلُ خَرَقِ السِّفِينَةِ]

هَذَا تَفْسِيرٌ مَا أَشْكَلَ أَمْرُهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا كَانَ أَنْكَرَ ظَاهِرُهُ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْخَضَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حِكْمَةٍ بَاطِنَةٍ، فَقَالَ: إِنْ السِّفِينَةُ إِنَّمَا خَرَقَتْهَا لِأَعْيِبَهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلِكٍ مِنَ الظُّلَمَةِ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صَالِحَةٍ أَوْ جَيِّدَةٍ ﴿غَصْبًا﴾ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا لِأَرُدُّهُ عَنْهَا [بَعِيْبَهَا]، فَيَتَنَفَّعَ بِهَا أَصْحَابُهَا الْمَسَاكِينُ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يَتَنَفَّعُونَ بِهِ غَيْرَهَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ أَبْنَامٌ.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾

### [تَأْوِيلُ قَتْلِ الْغُلَامِ]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا» رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أَي يَحْمِلُهُمَا حُبَهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ، وَحَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ، وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا، فَلْيُرْضَ امْرُؤٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَضَائِهِ فِيمَا يُحِبُّ<sup>(٥)</sup>. وَصَحَّ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ قَضَاءٍ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(٦)</sup> وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَصَدَّقَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾ أَي وَلَدًا أَرْكَى مِنْ هَذَا، وَهُمَا أَرْحَمَ بِهِ مِنْهُ.

(١) الطبري: ٧٧/١٨ إسناده ضعيف لتدليس أبي إسحاق السبيعي (٢) الطبري: ٧٨/١٨ (٣) أحمد: ١١٩/٥ (٤) الطبري: ٨٥/١٨ (٥) الطبري: ٨٦/١٨ (٦) أحمد: ١١٧/٣

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ <sup>(١)</sup> .  
**﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾**

### [تَأْوِيلُ إِقَامَةِ الْجِدَارِ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ]

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهُ قَالَ أَوْلَا: ﴿حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وَقَالَ هُنَا: ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ مِن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: ١٣]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يَعْنِي مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ هَذَا الْجِدَارَ إِنَّمَا أَصْلَحْتُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا. قَالَ عِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: وَكَانَ تَحْتَهُ مَالٌ مَّدْفُونٌ لَهُمَا <sup>(٢)</sup>. وَهُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي دُرَيْتِهِ وَتَشْمَلُ بِرَكَّةَ عِبَادَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَفَاعَتِهِ فِيهِمْ، وَرَفَعَ دَرَجَتِهِمْ إِلَىٰ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، لِنَقَرِّ عَيْنُهُ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: حَفِظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُمَا صِلَاحًا <sup>(٣)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ هُنَا أَسْنَدَ الْإِزَادَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ بُلُوغَهُمَا الْحُلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ فِي الْغُلَامِ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُمْ زَكَوَةً﴾ وَقَالَ فِي السَّفِينَةِ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### [أَهْلٌ كَانَ الْخَضِرُ نَبِيًّا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أَي هَذَا الَّذِي فَعَلْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ، وَوَالِدِي الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي، أَي لِكِنِّي أَمَرْتُ بِهِ وَوَقُفْتُ عَلَيْهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ لِمَنْ قَالَ بِنُبُوَّةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءِتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

### [وَجْهٌ تَسْمِيَةِ الْخَضِرِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَضِرِ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرًا لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بِيضَاءٍ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ تَحْتِهِ خَضِرَاءٌ» <sup>(٤)</sup>. وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ <sup>(٥)</sup>. وَقَدْ بَيَّنَّا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ تَحْتِهِ خَضِرَاءٌ» <sup>(٦)</sup>. وَالْمُرَادُ بِالْفَرْوَةِ هُنَا الْحَشِيشُ الْيَابِسُ وَهُوَ الْهَشِيمُ مِنَ النَّبَاتِ. قَالَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ <sup>(٧)</sup>. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ وَجْهَ الْأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أَي هَذَا تَفْسِيرٌ مَا ضَعَفْتُ بِهِ ذَرْعًا، وَلَمْ تَصْبِرْ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ بِهِ ابْتِدَاءً، وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لَهُ وَبَيَّنَّهُ وَوَضَحَهُ وَأَزَالَ الْمُسْكَالَ قَالَ: ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾ [وَقِيلَ ذَلِكَ كَانَ الْإِسْكَالُ قَوْلًا ثَقِيلًا، فَقَالَ: ﴿سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، فَقَابَلَ الْأَثْقَلَ بِالْأَثْقَلِ، وَالْأَخْفَ بِالْأَخْفِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ وَهُوَ الصُّعُودُ إِلَىٰ أَعْلَاهُ ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبًا﴾ وَهُوَ أَشَقُّ مِنْ ذَلِكَ، فَقَابَلَ كَلِمًا بِمَا يُنَاسِبُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا بَالُ فَتَىٰ مُوسَىٰ ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ ثُمَّ لَمْ يُذْكَرْ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالسِّيَاقِ إِنَّمَا هُوَ قِصَّةُ مُوسَىٰ مَعَ الْخَضِرِ وَذِكْرُ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا، وَفَتَىٰ مُوسَىٰ مَعَهُ تَبَعٌ، وَقَدْ صَرَّحَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَلِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا <sup>(٨٢)</sup>

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَأًا <sup>(٨٣)</sup>

### [قِصَّةُ ذِي الْقَرْنَيْنِ]

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ﴾ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَي عَنِ خَبْرِهِ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ بَعَثَ كُفَّارًا مَكَّةَ إِلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَ مِنْهُمْ مَا يَمْتَحِنُونَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ، وَعَنْ فَتْيَةٍ لَا يُدْرَىٰ مَا صَنَعُوا، وَعَنِ الرُّوحِ، فَتَلَّتْ سُورَةَ الْكُحُفِ.

### [كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ صَاحِبَ سُلْطَةٍ كَبِيرَةٍ]

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أَي أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا

(١) الطبري: ٨٧، ٨٦، ١٨ / ٩٠، ١٨ (٢) الطبري: ٩٠، ١٨

(٣) الطبري: ٩٠، ١٨ (٤) أحمد: ٣١٢/٢ (٥) أحمد: ٣١٨/٢

(٦) فتح الباري: ٤٩٩/٦ (٧) أحمد: ٣١٨/٢

﴿٨٥﴾ **إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ فَأَنْبَعُ سَبَبًا**  
 ﴿٨٥﴾ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**  
**وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ**  
**فِيهِمْ حَسَنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ**  
**فِيَعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ**  
**الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُاسِرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ**  
**إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ**  
**دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ**  
**سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا**  
**لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**  
**مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ**  
**سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ**  
**وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَّيْنِ**  
**قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا**  
**﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾**

كَانَتْهَا تَغْرُبُ فِيهِ، وَهِيَ لَا تَفَارِقُ الْفُلْكَ الرَّابِعَ الَّذِي هِيَ مُثَبَّتَةٌ فِيهِ لَا تَفَارِقُهُ، وَالْحَمِيئَةُ مُسْتَنَقَّةٌ عَلَىٰ إِحْدَى الْقَرَاءَتَيْنِ مِنَ الْحَمَاءَةِ وَهُوَ الطَّبْنُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] أَي طِينٍ أُمْلَسَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ أَي أُمَّةً مِنَ الْأُمَّةِ، ذَكَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً عَظِيمَةً مِنْ بَنِي آدَمَ. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ مَعْنَى هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَكَّنَهُ مِنْهُمْ، وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ، وَأَطْفَرَهُ بِهِمْ، وَخَبَّرَهُ إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَسَيَّى، وَإِنْ شَاءَ مَنَّ أَوْ فَدَى، فَعَرَفَ عَدْلَهُ وَإِيمَانَهُ فِيمَا أَبْدَاهُ عَدْلَهُ وَبَيَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أَي اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ بِرَبِّهِ ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ قَالَ فَتَادَةُ:

(١) البداية والنهاية: ١٠٦/٢ والطبري: ٩٥، ٩٤/١٨ (٢)  
 البداية والنهاية: ١٠٦/٢ والطبري: ٩٥، ٩٤/١٨ (٣) الطبري:  
 ٩٩/١٨ (٤) الطبري: ٩٥/١٨ (٥) الطبري: ٩٥/١٨ (٦)  
 الطبري: ٩٩/١٨

مَكَّنَّا فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكَ مِنَ التَّمَكِينِ وَالْجُنُودِ وَالْآتِ الْحَرْبِ وَالْحَضَارَاتِ، وَلِهَذَا مَلَكَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مِنَ الْأَرْضِ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ، وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ، وَخَدَمَتْهُ الْأُمَّةُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ، لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنِي الشَّمْسِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَءَايَاتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرَمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَفَتَادَةُ وَالصَّحَّاكُ وَعَيْرُهُمْ: يَعْنِي عِلْمًا <sup>(١)</sup>. وَقَالَ فَتَادَةُ أَيضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَايَاتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قَالَ: مَنَازِلُ الْأَرْضِ وَأَعْلَامُهَا <sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ بَلْقَيْسَ: ﴿وَأَوْتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أَي مِمَّا يُؤْتَى بِمِثْلِهَا مِنَ الْمُلُوكِ، وَهَكَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ، يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ الْأَسْبَابَ، أَي الطَّرِيقَ وَالْوَسَائِلَ إِلَى فَتْحِ الْأَقْبَالِيمِ وَالرَّسَاتِيقِ وَالْبِلَادِ وَالْأَرْضِي، وَكَسَّرَ الْأَعْدَاءَ، وَكَبَّتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَإِدْلَالَ أَهْلِ الشَّرْكِ، قَدْ أُوتِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ سَبَبًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿فَأَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ فِيهِمْ حَسَنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيَعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسِرُّ﴾

### [ذَهَابُهُ وَبُلُوغُهُ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَأَنْبَعُ سَبَبًا﴾ يَعْنِي بِالسَّبَبِ الْمَنْزِلَ <sup>(٣)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَأَنْبَعُ سَبَبًا﴾ مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ <sup>(٤)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿سَبَبًا﴾ قَالَ: طَرِيقًا فِي الْأَرْضِ <sup>(٥)</sup>. وَقَالَ فَتَادَةُ: أَي أَنْبَعَ مَنَازِلِ الْأَرْضِ وَمَعَالِمِهَا <sup>(٦)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أَي فَسَلَّكَ طَرِيقًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ أَقْصَىٰ مَا يُسَلَّكَ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ مَغْرِبُ الْأَرْضِ، وَأَمَّا الْوُصُولُ إِلَىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ مِنَ السَّمَاءِ فَمُتَعَدَّرٌ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ الْفَيْصِصِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ أَنَّهُ سَارَ فِي الْأَرْضِ مُدَّةً، وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ مِنْ وَرَائِهِ، فَشَيْءٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ مِنْ خُرَافَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاخْتِلَاقِ زَنَادِقِيهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أَي رَأَى الشَّمْسَ فِي مَنْظَرِهِ تَغْرُبُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، وَهَذَا شَأْنٌ كُلٌّ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ سَاحِلِهِ يَرَاهَا

السَّيِّئِينَ وَهُمَا جَبَلَانِ مُتَنَاوِحَانِ بَيْنَهُمَا تُعْرَةُ يَخْرُجُ مِنْهَا  
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عَلَى بِلَادِ التُّرْكِ فَيَعِثُونَ فِيهَا فَنَسَادًا  
وَيُهْلِكُونَ الْحَرَّتَ وَالنَّسْلَ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ سُلَالَةِ  
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
يَقُولُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: ابْعَثْ  
بِعَثِ النَّارِ، فَيَقُولُ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ  
تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ،  
فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا.  
فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ، مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَفَرْتَاهُ:  
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ»<sup>(٥)</sup>.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أَيُّ  
لَا شَيْءَ جَامٍ كَلَامِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ النَّاسِ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ  
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْمًا﴾ قَالَ ابْنُ  
جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَجْرًا<sup>(٦)</sup> عَظِيمًا، يَعْنِي  
أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ مَا لَا يُعْطَوْنَهُ إِلَّا هَـ  
يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. فَقَالَ ذُو الْقُرَيْنِ بَعْفَهُ وَدِيَانَتَهُ  
وَصَلَّاحَ وَقَصْدَ الْخَيْرِ: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أَيُّ إِنَّ الَّذِي  
أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمَكِينِ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي  
تَجْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتُؤَدُّونِي بِمَالِ  
فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾... الْآيَةُ [النمل: ٣٦]،  
وَهَكَذَا قَالَ ذُو الْقُرَيْنِ: الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَبْدُلُونَهُ  
وَلَكِنْ سَاعِدُونِي بِقُوَّةٍ، أَيُّ بِعَمَلِكُمْ وَآلَاتِ الْبِنَاءِ ﴿أَجْعَلْ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمَةً﴾<sup>(٧)</sup> أَلَوْفِي زُبَيْرِ الْحَدِيدِ ﴿وَالزُّبَيْرُ جَمْعُ زُبْرَةٍ،  
وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنْهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ<sup>(٨)</sup>﴾. وَهِيَ  
كَاللَّبَنَةِ، يُقَالُ: كُلُّ لَبَنَةٍ زَنْةٌ فَنَطَارٌ بِالدمشقيِّ أَوْ تَرِيدٌ عَلَيْهِ  
﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ﴾ أَيُّ وَضَعَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مِنْ  
الْأَسَاسِ حَتَّى إِذَا حَادَى بِهِ رُؤُوسَ الْجَبَلَيْنِ طُولًا وَعَرْضًا.  
-وَاحْتَلَفُوا فِي مَسَاحَةِ عَرْضِهِ وَطُولِهِ عَلَى أَقْوَالٍ - ﴿قَالَ  
انْفُخُوا﴾ أَيُّ أَسَجَّ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كُفُّهُ نَارًا ﴿قَالَ أَلَوْفِي  
أَفْرِغْ عَلَيْهِ فِطْرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ  
وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: هُوَ النَّحَّاسُ زَادَ بَعْضُهُمْ

(١) الطبري: ٩٨/١٨ (٢) الطبري: ٩٩/١٨ (٣) الطبري:  
١٠٠/١٨ (٤) الطبري: ١٠١/١٨ (٥) فتح الباري: ٢٩٥/٨  
ومسلم: ٢٠١/١ (٦) الطبري: ١١٢/١٨ إسناده ضعيف لتدليس  
ابن جريج وفيه أيضا الحسين بن داود المصيصي (٧) الطبري:  
١١٤/١٨

بِالْقَتْلِ<sup>(١)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيَعْدِبُهُ عَذَابًا نَكْرًا﴾ أَيُّ  
شَدِيدًا بَلِيغًا وَجِيعًا أَلِيمًا، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ الْمَعَادِ  
وَالْجَزَاءِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾ أَيُّ اتَّبَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ  
إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَلَهُمْ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ أَيُّ  
فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَسَنَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِنَا  
سُرًّا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْرُوفًا<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ أَنْبَأَ سَبَّأًا﴾<sup>(٣)</sup> حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ  
لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾<sup>(٤)</sup> كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ  
خَيْرًا<sup>(٥)</sup>

### ذَهَابُهُ إِلَى جَهَّةِ الْمَشْرِقِ

يَقُولُ تَعَالَى ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا فَسَارَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ  
إِلَى مَطْلِعِهَا، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ فَهَرَمَهُمْ وَعَلَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ  
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَلَّهُمْ وَأَرْعَمَ آتَانَهُمْ  
وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْنَعَتُهُمْ، وَاسْتَحْدَمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَا  
تَسْتَعِينُ بِهِ جُيُوشُهُ عَلَى قِتَالِ الْإِقْلِيمِ الْمُتَاخِمِ لَهُمْ، وَلَمَّا  
انْتَهَى إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ أَيُّ أُمَّةٍ ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾  
أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يُكِنُّهُمْ، وَلَا أَشْجَارٌ تَطْلُغُهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ  
حَرِّ الشَّمْسِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُمْ بَارِضٌ لَا تَبَّتْ لَهُمْ شَيْئًا فَهَمْ  
إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوا فِي أَسْرَابٍ، حَتَّى إِذَا زَالَتِ  
الشَّمْسُ خَرَجُوا إِلَى حُرُوثِهِمْ وَمَعَابِشِهِمْ<sup>(٦)</sup>. وَقَوْلُهُ:  
﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ:  
عَلِمَا أَيُّ نَحْنُ مُطَّلِعُونَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَنَّتِهِ  
لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهَا شَيْءٌ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أُمَّهُمُ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ  
الْأَرْضُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ﴾<sup>(٧)</sup> [آل عمران: ٥١].

﴿ثُمَّ أَنْبَأَ سَبَّأًا﴾<sup>(٨)</sup> حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا  
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾<sup>(٩)</sup> قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ  
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْمًا عَلَيَّ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ  
سَدًّا<sup>(١٠)</sup> قَالَ مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ  
رَمَةً﴾<sup>(١١)</sup> أَلَوْفِي زُبَيْرِ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا  
حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَلَوْفِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ فِطْرًا﴾<sup>(١٢)</sup>

### ذَهَابُهُ إِلَى أَرْضِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَبِنَاؤُهُ السَّدَّ

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذِي الْقُرَيْنِ: ﴿ثُمَّ أَنْبَأَ سَبَّأًا﴾ أَيُّ  
ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

الْمُدَابِّ<sup>(١)</sup> وَيَسْتَشْهَدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسَأْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] وَلِهَذَا يُشَبَّهُ بِالْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْبًا﴾ (١٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (١٨) ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَيُفِخُ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَجْعًا﴾ (١٩) وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (٢٠) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (٢١) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّا نَبِّئُهُمْ وَلِقَائِهِمْ نَحْمِلُ أَعْمَالَهُمْ فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَنًا﴾ (٢٢) ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُولًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٢٣) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (٢٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يَصْعَدُوا مِنْ فَوْقِ هَذَا السِّدِّ وَلَا قَدَرُوا عَلَى نَفْيِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَلَمَّا كَانَ الظُّهُورُ عَلَيْهِ أَسْهَلُ مِنْ نَفْيِهِ قَابِلٌ كَلًّا بِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْبًا﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نَفْيِهِ وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَفُتِحَ الْيَوْمُ مِنْ رَدَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا» وَحَلَّقَ [بِاصْبَعِيهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْهَلُكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْحَبُّ»<sup>(٢)</sup> هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ أَي لَمَّا بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ أَي بِالنَّاسِ حَيْثُ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَائِلًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَيْثِ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادِ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أَي إِذَا اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أَي سَاوَاهُ بِالْأَرْضِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: نَاقَةٌ دَكَّاءٌ إِذَا كَانَ ظَهْرُهَا مُسْتَوِيًا لِاسْتِمَامِ لَهَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أَي مُسَاوِيًا لِلْأَرْضِ.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أَي كَانَتْ لَا مَحَالَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أَي النَّاسَ يَوْمَئِذٍ، أَي يَوْمَ يَدُكُ هَذَا السِّدِّ، وَيَخْرُجُ هُوَ لِأَنَّ فِيمَوْجُونَ فِي النَّاسِ، وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، وَيَتَلَفُونَ أَشْيَاءَهُمْ، وَهَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قَالَ: ذَلِكَ حِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ<sup>(٤)</sup>. وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَ الدَّجَالِ، كَمَا سَبَّأْتِي بَيَانُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٢٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ

الآيَةَ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُفِخُ فِي الصُّورِ﴾ وَالصُّورُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: قُرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ، وَالَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ بِطَوْلِهِ، وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ<sup>(٥)</sup>. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup> وَأَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّعَمُّ الْقُرْنِ، وَحَتَّى جَبَّهَتْهُ وَاسْتَمَعَ مَنَى يُؤْمَرُ؟» قَالُوا: كَيْفَ تَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ

(١) الطبري: ١١٦/١٨، ١١٧ والدر المنثور: ٤٦٠/٥ (٢)

أحمد: ٤٢٨/٦ (٣) فتح الباري: ٤٤٠/٦ ومسلم: ٢٢٠٨/٤

(٤) الدر المنثور: ٤٥٤/٤ (٥) تحفة الأحوذى: ١١٦/٩ (٦)

الطبري: ١٢٢/١٨ إسناده ضعيف لضعف عطية إلا أنه تابع عليه أبو صالح عند أبي يعلى (١٠٨٤) وابن حبان (٨٢٣) والحاكم ٤/٥٥٩ وابن أبي الدنيا في "الأهوال" (٤٩) أنظر موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ١٥٤/٦ وورد ابن كثير عنه في البداية ١/١٧١ وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٧٩)

وَمَعْنَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَشْمَلُ الْحُرُورِيَّةَ كَمَا تَشْمَلُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَغَيْرَهُمْ، لَا إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي هَؤُلَاءِ - عَلَى الْخُصُوصِ - وَلَا هَؤُلَاءِ، بَلْ هِيَ أَعَمُّ مِنْ هَذَا، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ قَبْلَ خُطَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَبْلَ وُجُودِ الْخَوَارِجِ بِالْكَلْبِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا، وَأَنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ، وَهُوَ مُخْطِئٌ، وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرًا بِيْفِعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاشٍ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِغًا﴾ [النور: ٣٩] وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ أَيُّ نُخْبِرُكُمْ ﴿بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُمْ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ صَدَّ سَعِيمَهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أَيُّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ مَحْبُوبُونَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أَيُّ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَبَرَاهِينَهُ الَّتِي أَقَامَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ، وَكَذَّبُوا بِاللَّارِ الْآخِرَةِ ﴿فَلَا نُفِئُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنًا﴾ أَيُّ لَا نُنْقِلُ مَوَازِينَهُمْ، لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ عَنِ الْخَيْرِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَرُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ - وَقَالَ: - إِفْرُءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا نُفِئُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنًا﴾. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ» (٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أَيُّ إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِهَذَا الْجَزَاءِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ هُزُؤًا، اسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ وَكَذَّبُوهُمْ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا ﴿١٨﴾﴾

### [جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ السُّعَدَاءِ وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

تَوَكَّلْنَا» (١). وَقَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أَيُّ أَحْضَرْنَا الْجَمِيعَ لِلْحِسَابِ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِقْدَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٥١﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٥٢﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنْجِدُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿٥٣﴾﴾

### [عَرْضُ جَهَنَّمَ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَفْعَلُهُ بِالْكَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَعْزِضُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ، أَيُّ يُبْرِزُهَا لَهُمْ وَيُظْهِرُهَا لِيُرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ قَبْلَ دُخُولِهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَعْجِيلِ الْعَذَابِ وَالْحُزْنِ لَهُمْ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوتَى بِجَهَنَّمَ تُفَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ» (٢) ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي﴾ أَيُّ تَغَافَلُوا وَتَعَامَوْا وَتَصَامَمُوا عَنْ قَبُولِ الْهُدَى وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِيضٌ لَمْ يَشِطَّنَا فَهُوَ لَمْ يَرِنُّ﴾ [الزخرف: ٣٦] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أَيُّ لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنْجِدُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أَيُّ إِعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَصْلُحُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَتَنَفَّعُونَ بِهِ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مریم: ٨٢] وَلِهَذَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَثَرًا.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا ﴿٥٣﴾ الَّذِينَ صَدَّ سَعِيمَهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُفِئُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنًا ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرْتُمْ وَاتَّخَذْتُمْ هُزُؤًا ﴿٥٦﴾﴾

### [الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا وَجَزَاءُهُمْ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا﴾ أَهْمُ الْحُرُورِيَّةِ؟ قَالَ: لَا، هُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ. وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا: لَا طَعَامَ فِيهَا وَلَا شَرَابَ. وَالْحُرُورِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، فَكَانَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ (٣). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٤) وَالصَّحَّاحُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُمْ الْحُرُورِيَّةُ،

(١) تحفة الأحوذى: ١١٧/٧ (٢) مسلم: ٢١٨٤/٤ (٣) فتح الباري: ٢٧٨/٨ (٤) الطبري: ١٢٧/١٨ (٥) فتح الباري: ٢٧٩/٨ (٦) فتح الباري: ٢١٤٧/٤

نَعِيمِ الدُّنْيَا أَوْلَهَا وَآخِرَهَا فِي نَعِيمِ الآخِرَةِ، كَحَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فِي خِلَالِ الأَرْضِ كُلِّهَا .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾

**[مُحَمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ وَرَسُولٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ]**

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ﴾ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الغَيْبَ فِيمَا أُخْبِرْتُمْ بِهِ مِنَ المَاضِي عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الكَهْفِ وَخَبَرِ ذِي القُرُونِ مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ - لَوْلَا مَا أَطَّلَعَنِي اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أُخْبِرُكُمْ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أَي تَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِحِ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أَي مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرَعِ اللهُ ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَانِ رُكْنَا العَمَلِ المُتَقَبَّلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيعةِ رَسُولِ اللهُ ﷺ.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافَ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الأَضْعَرُّ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الأَضْعَرُّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْظَرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»<sup>(٥)</sup>

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الأنصاري، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهُ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالأَخِيرِينَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ اللهُ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ تَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ اللهُ أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ»<sup>(٦)</sup>. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ<sup>(٧)</sup>.

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ الكَهْفِ.

وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ، أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ المُرْدُوسِ. وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ: المُرْدُوسُ سُرَّةُ الجَنَّةِ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: المُرْدُوسُ رَبْوَةُ الجَنَّةِ، وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا<sup>(٢)</sup>. وَقَدْ رَوَى هَذَا مَرْفُوعًا عَنْ سُمَرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «المُرْدُوسُ رَبْوَةُ الجَنَّةِ، أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا».

وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا بِنَحْوِهِ. رَوَى ذَلِكَ كُلُّهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>. وَفِي الصَّحِيحِ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ الجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ المُرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُرَاةٌ﴾ أَي ضِيَاءَةٌ، فَإِنَّ التُّرُلَ الضِّيَاءَةَ. وَقَوْلُهُ: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ أَي مُتَمِيمِينَ سَاكِنِينَ فِيهَا، لَا يَطْعَنُونَ عَنْهَا أَبَدًا ﴿لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ أَي لَا يَخْتَارُونَ عَنْهَا غَيْرَهَا، وَلَا يَجِبُونَ سِوَاهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ تَبْيِيهُ عَلَى رَغَبَتِهِمْ فِيهَا وَحُبِّهِمْ لَهَا، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَتَوَهَّمُ فِيمَنْ هُوَ مُتَمِيمٌ فِي المَكَانِ دَائِمًا أَنَّهُ قَدْ يَسْأَمُهُ أَوْ يَمَلُّهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا الدَّوَامِ وَالأَلْحَادِ السَّرْمِذِيِّ لَا يَخْتَارُونَ عَنْ مَقَامِهِمْ ذَلِكَ مُتَحَوِّلًا وَلَا انْتِقَالًا، وَلَا طَعْمًا، وَلَا رِحْلَةً، وَلَا بَدَلًا.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الأَبْحَرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الأَبْحَرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ

كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا﴾ ﴿١١٠﴾

**[لَا تَنفَدُ كَلِمَاتُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ]**

يَقُولُ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَوْ كَانَ مَاءُ الأَبْحَرِ مِدَادًا لِلْقَلَمِ الَّذِي يُكْتُبُ بِهِ كَلِمَاتُ اللهُ وَحُكْمُهُ وَآيَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ، لَنَفِدَ الأَبْحَرُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ كِتَابَةُ ذَلِكَ ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أَي بِمِثْلِ الأَبْحَرِ آخَرَ، ثُمَّ آخَرَ وَهَلُمَّ جَرًّا، بِحُورٍ تَمُدُّهُ وَيَكْتُبُ بِهَا، لَمَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ سَحَابٍ مِثْلُ مِثْمَدٍ مِنَ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحَرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: إِنَّ مِثْلَ عِلْمِ العِبَادِ كُلِّهِمْ فِي عِلْمِ اللهُ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ الأَبْحَرِ كُلِّهَا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الأَبْحَرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الأَبْحَرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ يَقُولُ: لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الأَبْحَرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ اللهُ، وَالسَّجَرُ كُلُّهُ أَقْلَامٌ لَأُنْكَسَرَتْ الأَقْلَامُ، وَفَنِيَ مَاءُ الأَبْحَرِ، وَبَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللهُ قَائِمَةً لَا يُغْنِيهَا شَيْءٌ، لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدِرَ قَدْرَهُ، وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُثْنِي نَفْسَهُ، إِنَّ رَبَّنَا كَمَا يَقُولُ وَفَوْقَ مَا نَقُولُ، إِنَّ مِثْلَ

(١) الطبري: ١٣٠/١٨ (٢) الطبري: ١٣٠/١٨ (٣) الطبري:

١٣٤/١٨ (٤) فتح الباري: ٤١٥/١٣ (٥) أحمد: ٤٢٨/٥

(٦) أحمد: ٢١٥/٤ (٧) تحفة الأحوذى: ٥٩٩/٨ وابن ماجه:

١٤٠٦/٢